إلى القارئ

يجد القارىء الكريم في هذا العدد قصائد ومحاولات أدبية تشيد بحدث عظيم هتفت له الامة بأجمعها واهتز كيانها له ترحيبا به لانه تاج كفاحها المستميت واكليل النصر وشح جبينها : ذاك هو جلاء الاجنبي عن البلاد فتح الطريق طويلة للجهاد البناء ورفع الكابوس الذى كان يهيمن على العقول والنفوس ، وتلك هي الانطلاقة التى لا يحدها حد ، ولا يقف دونها حائل ٠

وان تحمس الشعراء والكتاب لتخليد هذا النصر والتنويه به لهو جزء من فرحة الامة كلها لانه سيمكنها من أن تبنى غدها على بينة من أمرها وأن تتحمس لهذه الخطة العظيمة لبناء اقتصاد البلاد على أسس سليمة قويمة ، مثمرة خلاقة ٠ خاصة وأن الشعب مستعد لان يدخل فى مخططه الثانى بعد أن سار أشواطا فى المخطط الاول وهو متهىء بكل عناصره الحية لان يجابه مرحلة التصنيع فى عزم وحزم حتى يخرج باقتصاده من دور التخلف والافتقار الى حلقة من الازدهار وعميم الخير ٠ وفترة التصنيع هذه هى من أعسر الفترات التى تمر بها الامم اذ كثير ما تضيع فيها القيم وتتلاشى المثل ويصبح البشر بدوره آلة تتصرف فيه مقتضيات ميكانيكية وظروف عنيدة عاتية لا ترحم ولا تشفق ٠ فتغيب عند ذلك الغاية التى من أجلها صنع البلاد ويتوارى الهدف الذى بسببه عانى الصعاب وذللها فتطغى عليه صلابة الآلة وتحجرها وتغشى قلبه غشاوة تنسيه انه انسان قبل كل شىء فى حاجة الى كرامة موفورة وتقدير مطرد وحضارة متجددة ٠

أما فيما يخصنا ونحن على أبواب فترة التصنيع فقد لمسنا اعتناء الدولة فى تحديد أهداف المخطط الرباعى المقبل برعاية الانسان التونسى وتهذيبه وتثقيفه والاخذ بيده والرفع من شأنه والنهوض به وجعله الهدف الاسمى اذ لا ازدهار ولا خروج من التخلف الا باخراجه من تخلفه العقلى ولا تصنيع مجد الا اذا كان هو الرائد ينتفع بما صنع ماديا وأدبيا ٠

ونحن واثقون من هذا كله مؤمنون بأننا سنسير فى كفاحنا ضد التخلف موفورى الكرامة كما كان الشأن عندما خرجنا من جهادنا ضد المستعمر ونحن كذلك متيقنون من أن شعراءنا وكتابنا سيجدون فى جهادنا الاكبر القيم التى تحتاج الى التنويه والتخليد والمثل التى يتحمس لها كل محب للخير سليم الطوية ٠

نحو أخلاق جديدة

بقلم الدكتور : عبد المجيد رزق الله

ما من في شك ان المجتمع الكريم المزدهر الذى نسعى لبنائه في كنف العدالة الاجتماعية والاشتراكية الدستورية لايقوم على اعمال الرأي وتخطيط الاقتصاد فحسب بل يقوم ايضا وأساسيا على قاعدة اخلاقية متينة. فالاخلاق ضرورية للشعور بالكرامة وبعث عقلية التطور والتقدم والسعي الى عيش الرفاهية والازدهار، واذا ما فقدت في المجتمع حالت دون الغاية التي يسعى اليها ولذا وجب توضيحها وتركيزها حتى لايصيبه الوهن والتقهقر وحتى يواصل سيره الى الامام نحو الحضارة التي هي ميزة الانسان الاولى.

ان الاخـلاق حصون وقيود يكونها ويضعها المجتمع لحماية كيانه ضد الانحرافات والاطماع، وكلما تطور المجتمع نحو الرقي وتطلب الافراد مستوى ارقى تقوى هذه الحصون والقيود وتشتد الحاجة اليها لتحول دون المبالغة في الطمع والجشع تلك المبالغة التي قد تؤدي الى الفوضى والتناحر والاشتباك.

ونحن في سبيلنا الى الرقي وتحقيق الاشتراكيـة في حاجة الى مزيد من الخلق وفي حاجة الى مزيد من الشعور بمسؤولياتنا وبما يعهد الينا من عمل.

وقبل تحديد الاخلاق الجديدة التي نحن في حاجة اليها لنا ان نتساءل بادىء ذي بدء ما هي هاته المسؤوليات وما ينتظر منا من عمل ؟

لقد أجاب المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة على هذا السؤال في خطابه المنهجي العظيم بمناسبة اختتام ملتقى اطارات الشباب يوم 29 جويلية 1963 حيث قال :

« ... وما طريقتنا — اعني الاشتراكية الدستورية — الا مستوحاة من الواقع التونسي، فعندما اصطدمنا بهذا الواقع اعملنا الرأي ووضعنا نصب اعيننا هدفا اساسيا هو تكوين مجتمع افضل برفع المستوى وتحسين الانتاج وتوزيعه توزيعا عادلا، فلما اطمأنت نفوسنا الى هذا الهدف اخذنا نبحث عن الطرق المؤدية اليه، ولقد وصل بنا البحث الى العثور على فكرة عامة اساسية

وهي ان المواطن اصبح في عهدنا الجديد شريكا لبقية افراد المجموعة التونسية وهكذا تولدت الاشتراكية التي ليست رد فعل ضد الراسمالية وانما ضد الفردية المتطرفة. فقد اتضح ان نمط الحياة القديم الذي يعتمد الفردية وترك كل فرد على هواه لم يعد صالحا ولا مفيدا. بل لا بد من تغييره واستنباط طرق توجه الافراد وتجعل من مجهودهم مجهودا جماعيا فعالا، فنحن جميعا مسؤولون عن مصير هذه الرقعة من الارض ويجب ان نعيش فيها كرماء. ولقد اطلقنا على هذه الطريقة لقب "الاشتراكية" وهكذا لم يعد الفرد امة برأسها ولا غاية بمفردها، بل اصبحنا جماعة متكاملة، دور الدولة فيها ان تحول دون ان يشذ الافراد ويضروا بالمصلحة العامة، بل تلزمهم برعايتها وتستخدم في سبيل ذلك مالها من امكانيات ونظر بعيد المدى وتقاوم الحيف والطغيان والاستثمار والاحتكار وكل ما يخالف تمسك الانسان بالقيم الاخلاقية من عدالة وحرية واخاء... وخلافا لرأي كارل ماركس الذي لا يرى مندوحة من تطاحن الطبقات، فان عملنا يتجه لمقاومة الشر لا لمقاومة الشخص... وذلك وثوقا منا بقابليته للتقدم والرقي في سلم الاخلاق... ومن حسن حظ البشر ان الاخلاق السامية كالايثار والتفاني في الاحسان الى المجتمع تنسجم وتلتقي مع المصلحة العامة اي مع مصلحة كل فرد من افراد المجتمع... »

***

هكذا في تطورنا نحو الاشتراكية يجب ان ينعكس هذا التطور تلقائيا على القيم الخلقية والتقاليد التي تستند الى المجتمع فيكون رائدنا الصدق في اداء ما يعهد الينا من عمل والايثار للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة ومحاربة الانانيــة.

وان اول هدف يجب ان نرمي اليه هو التخلص من النظرية الفردية والسلوك الفردي في معاملاتنا وحياتنا الاجتماعية لتستقر اخلاقنا الجديدة وتقاليدنا متفقة مع تطور مجتمعنا.

فالاخلاق الفردية التي تصاحب المجتمع الرأسمالي يجب ان تزيلها الروح الاشتراكية لتقيم على انقاضها قيما جديدة. وهاته الاخلاق القائمة على الانانية والتنافس يجب أن تحل محلها اخلاق تعاونية.

ومن جهة اخرى يجب ان يتجه الفرد الى العمل بقصد العمل اكثر منه بقصد الاثراء باعتبار العمل وظيفة اجتماعية قبل كل شيء، وسوف يتحقق ذلك اذا كان الجزاء على قدر العمل.

ومما هو اهم واوكد من ذلك كله اذ عليه يتوقف بناء المجتمع الافضل

الذى تريده الاستجابة لصوت الضمير المهني والضمير الاخلاقي والايمان بالاشتراكية الى جانب الكفاءة الصناعية. على ان نداء الضمير هذا يجب ان لا تكون الاستجابة اليه بوازع من الخوف من الاخرة ورغبة فيها فحسب بل طلبا لراحة الضمير نفسه وشعورا بالكرامة والشرف اللذين يَفْرُضَان العمل الكامل. وهذا ما يوليه المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة أهمية بالغة اذ ما يفتأ يذكر بوجوب الصدق في القول والاخلاص في العمل وبوجوب تعويد الفرد من صغره بتجنب العمل المشوش والابتعاد عن الغش حتى يكون في كبره قدوة حسنة « واذا اصبح الصدق والاخلاص والجدية شعار الافراد كان المجتمع بأسره منعوتا بهذه الخلال ومرموقا من أجل ذلك بعين التجلة والاكبار ».

كل ذلك يتطلب مجهودا كبيرا على الاطارات والمثقفين والواعين بصفة عامة تسخير قواهم لتحقيقه وذلك في صالح الفرد وفي صالح المجموعة التي يعيش بينها على حد السواء. وهنا يأتي دور الالتزام الذى يجب ان يتحلى به المثقف سواء كان طالبا او استاذا او رجل أدب او فكر او علم حتى يقوم بواجبه نحو الصالح العام في هذه الفترة الحاسمة من حياة بلادنا.

هذه هي الاخلاق التي على مجتمعنا التحلي بها لبناء اشتراكية اصيلة، وما هي في الواقع الا رجوع الى الاخلاق الدينية السامية تلك الاخلاق التي تدعو الى الاخذ بيد الضعيف وان يحب الانسان لغيره ما يحبه لنفسه وان يتعاون مع غيره وان تكون له مشاركة عاطفية وفعالة في آن واحد لتحقيق الصالح العام. واذا ما رجعنا الى جوهر الدين ولبه لم نتمسك بحرفه وقشرته وربطنا بينه وبين طبيعة الحياة وتطور العلوم والفنون والآداب لوجدنا فيه مبادئ « صالحة لكل زمان ومكان » فعلا وقيما واخلاقا مدنية ودنيوية بجانب صبغتها الدينية البحتة. فالاسلام مثلا يكره تكدس الثراء في جانب والحرمان في جانب وفي سبيل ازالة هذه الحالة يبيح لاولي الامر حرية التصرف حسب الوضع المناسب لاعادة التوازن العام. وقد قال الله في كتابه العزيز « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم »، كما يدعو الى التعاون بين الناس في جميع شؤونهم تعاونا صادقا مخلصا وفي ذلك يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ويقول النبيء عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في تعاضدهم وتساندهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » ونجد في الدين سواء في الكتاب او السنة تحريم الاحتكار ("المحتكر ملعون") والحض

تهنئة ... ورجاء

شعر : الصادق مازيغ

صغ من الوجد والحقيقة شعرا ... وتمل الحياة عزا وفخرا
وتوخ الصواب والعدل قصدا ... واجل عن مَوْطن الفضيلة سترا
وأعرفنك البطولة والنخـ ... ـوة واكس القريض نُبْلا وطهرا
وترفع عن الزخارف ممَّا ... يَدَع النظم ذاوي الروح صِفْرا!
والتمس للكلام معنى شريفا ... واغترف من صميم نجواك بحْرا
واكتشف في دفائن النفس كنزا ... واقتطف من حدائق الفكر زهرا
واذا اعوز المدادُ يراعا ... فلتسل مُهْجة المعذب حبْرا
أو فسخر دما تحول عن دمـ ... ـع لوصف يروع هَوْلا وذُعْرا
واذا ما طَرِبْتَ للُيسر بعد الـ ... ـعسر، والانعتاق يعقب أسْرا
فابك دمع السرور للفرحة الكبـ ... ـرى وخل المداد ينْفَحُ بُشْرَى
فهو من عنصر لطيف مصفى ... ينسق الوجد في الصحيفة سطرا
ما كيوم الجلاء في الدهر يوم ... رَفّ حسنا وطاب عرْفا ونَشْرا
أنْجِزَت فيه زاهيات الاماني ... وتوافت بشائر اليمن تترى
بانسحاب المغير عن ثغر بنزر ... ت – فثغر البلاد يفتَر بِشرا
فَتْرَة للهوَان والذل بادت ... وانطوت في قرارة اليم قَسْرا
بمساعٍ من الحبيب تسامَتْ ... أن تُضَاهي بمن يُدانِيه قَدرا
أخفق المدعون عن نَيْل مسعا ... ه وباؤوا بخطَّة الغَبْن خُسْرا
– فرصة الدهر، ثغرةُ النحر بنزر ... تُ .فمن ذا يروم لقياك ذُخْرا ؟
أي شهم ؟ وأي قائدُ شعب ... قيَّض الدهر كي يَسُودَك قَهْرا؟
أي فَحْل مُوَفَّق ثاقب العز ... م قضى الله أن يَسُومَك مَهْرا؟
يَا حبيبَاً الى العُلى انت من أمـ ... ـهرت بِكْرَ الزمَان عَزْما وصبرا

ونَفَيْتَ المنَام عن جفنك المُضْـ ـني لكي تقتني لِتونس فَخْـرا
ولـكي تَمْسح الظلامَة عن أر ض قضت في قـرارة العسف دهرا
هذه آخر المـراحل من سلـ ـسلة للجهـاد أهْـدَيْتَ عُمْرا
هـذه قِـمَّة النهـاية من صُنْـ ـع فريد يُشِعّ نُبْلا وفِـكرا
واضِعُ الاس أنت دون امتِـراءٍ، ومتمٌّ البناء تكسوه تِبـرا
وكـذا من دعـا الى النور شعبـاً فهو بالنجح في النهاية أدْرى
والـذي انقادَت الحظوظُ لـه في الـ ـبَدْء أمسى بالختْم أوْلى واحرى
مَوْكِبٌ للـجَلال والنصر يَحْوِيـ ـك وجَمْعٌ يوليك عطفا وبِرا
وأباريقُ أُتْرِعَتْ بالامـانـي والتهاني تطيف في الرشف خَمْرا
وأكـاليلُ جللتْـك سَنَـاءً وبهاءً يُضيءُ في الليل فَجْرا
هـالة فذة تصول على الـدهـ ـر بِمَا أُودِعَت جَمالاً وسحرا
الزمانُ المنيب وافـاك عبدا مُبديا عن سوالف الذنب عذرا
قائلا : "كم خدمت ركبك في السر ر، وان كنت أُرهف الحدّ جهرا
" ولقد كنت اجتبيك بعطـفـ ـبات يرعاك كلما رُمْتَ وَعْرا
" فَيَرُدُ السهام عند ويُلْقـي في صفوف العدُو يَأْساً وذُعْرا
" انني الحَظّ قَدْ منحتُك ودي فاركب الحظّ — قد اطاعك مُهْرا
" انت حرٌّ خصبت وِدّ المعالـي وقضيتَ الحيـاة بالمجد مُغْرى
" وبذلت النفيس من صَفْو عيش وارتضيتَ الجحيم للخُلد جِسْرا
" فأنا أجتبيك خِـلاً وأعليـ ـك على الدهر في الجماهير قدْرا
" انني مُولع بكل عظيـم شدّ للنُّبْل والكرامـة أزْرا
" باسم الثغر في قِراع البلايا صامدَ العزم في الكريهة صَخْرا
" مؤمناً بالنجاح مهما توالى من فنون الجلاد كَرًّا وفَرٌّ
" فلذاكَ الذى اجتبيت بعطفـي، ولـذاك الحبيبَ أفسحت صَدْرا
" حـالفتْه بناتيَ الشهبُ ليـلا وحبتْه الايـام صَوْنا وخَفْـرا"

∴

أيهـذا الذى احتللتَ مكانـا في صميم القلوب تبغيه وكـرا
وغدت حولك الضمائر تَهْفُو بمزيد الحنين تلهب جَمْـرا
واهبَ العتق والكرامة شعبـا سامه الظلم والتعسُّف نُكـرا:

ـ هـا أنا في قــرارة الضيم أدعــو … كَ وارجوك في الهزيمة نصْرا
بتُّ في مهمه الحيـاة شـريـدا … ودهتنى اللئـام صَفْعـا ونهْـرا
سامني الظـالمون خطَّـة بَغْيْ … فبراني السقـام كبْتا وقهْـرا
ورمتني بـكـل إثم ورِجــس … عُصْبَـة لِلفسَاد تَمْرح ظَفْـرا
تخلق الـزور والمحـال افتــراء … وتـدوس الـكمال والفَضْل غَدْرا
فـاستمع قصتي و كـن لِـي مـأوى … من جحيم الطُّغَـاة يَلفَح شـرا
مَنْ لـرد الحقـوق مثـلـك يُرجى؟ … من لـكشف الظـلام يسطع بـدرا ؟

∴

يـا رسـول النظـام والعـدل والحـر … ريَّـة اسْحَق معاقِـلَ الظُّلم طُرا
لا تـدع مَوْطِنَـا يضـام بـه الحـ … ـر ولـم تَجْل عن خباياه سِترا
وتصَفَّحْ مطالبا للضحـايـا … فَشهيد الاحيْـاء بِالعَطف احرى
والنظام العتيدُ يَرْسُخُ بِالعَـدْ … ل فيَعلو بِنَاؤُه مُشمَخِـرا
صانك الله واجتبتك المعالـي … ومُنحت البقاء دَهْرا فدهـراّ
كي تفلّ القيود دوما، وتبنـي … بِرحاب الخلود قَصْرا فقصْـرا
وتـكون الفتى المؤمل دومـا … لِيَسُوم الطُّغَـاةَ رَدْعاً وَزَجْرا
فَتَعُم البـلادَ فرحتُهـا الـكبـ … ـرى وتَبْدو الحيـاةُ يُمنا ويسرا

الصادق مازيغ

الجـــــلاء

مسرحيـــة
ذات فصل واحـد
بقلـــم
عصام سليمان

مهـــداة
الى صاحب الفخامة
الحبيب بورقيبة
رئيس الجمهوريـة
التـونسيـة

الاشخاص : • عـــلى
• محسن

محسن : وماذا فعلت ؟

عـــلى : عندما دارت على الدوائر حططت رحلى عـلى تلك الربـوة • ما كنت لاخشى العوادى • فالمغارة فيها أحلك من قلوب شعبى آنذاك • وأمامى البحر يموج ويتسع الموج فيه • كنت أستطيع فى أية لحظة أن أستتر فى المغارة • أو أذوب فى المياه •

كنت أسمع طلق النار • مدافع وقنابل فيتملك اذنى ذعر شديد وأصرخ فى أزيز الرصاص أن لا تقتل أهلى ، أن لا تصب • ولكن رصاصهم لم يكن أعمى •

حتى فى الليل ، كنت أراه يومض ويلمـع ، محدقـا فى هدفـه بعيون نهمة • كل جشع الدنيا كان مجسدا فى تلك الالسنة الممتدة على مراعينا ، نارا بدلا من كلا ••• دمارا على دمار •

تركت رفاقى ، يسوقونهم كالنعاج الى المسلخ وهربت يائسا •• لم أحسب أن حياتى ستطول أكثر من دقيقة • ـ لم أصب • أصيبت الارض حوالى والاشجار فوقى ، وسمعت أكثـر من صـوت للموت يزأر فى أذنى • ولكنى كنت اركض • ترى لماذا مات الآخرون ؟

وهل هناك قاعدة للموت فى تلك المعارك ؟

محسن : كانت أمنا ، كلما اوقدت نار الحساء ودعتنا لنأخذ شيئـا من الدفء حواليه ، لا تنسى أن تناديك • كأنك ما غادرتنا أبدا • وفى كل مرة تبتل عيناها فترفعهما الى السماء هنيهة ثم تبتسم كما لو أن السماء أجابتها •

علي : ولكن السماء لا تستجيب دائماً . كم مرة أطلقت علينا بنادق العدو رسل الموت وكم مرة تضمخت يداى بدم الرفاق . الوصايا التى تلقفتها على شفاه محتضرة يا أخى دروس فى ما بقلب من كبرياء وعاطفة كبيرة وانا كم مرة اطلقت النار على جنود العدو . اذكر واحدا منهم صرخ عندما اصبته مناديا أمه بصوت الرضيع . ما ذنب ذلك الصبى هو مثلنا بشر ساقته الى حتفه اطماع الغزاة .

محسن : ولكنك لو لم تقتله لقتلك .

علي : مؤكد . قد لا يكون للقتل من مبرر الا هذا . ولكن الا تشعر معى بحماقة القتل والحرب معا . لماذا ؟ لماذا ؟

محسن : من أجل الكرامة يا أخى . كانت كرامتنا ذبيحة ، كنا على أرضنا عبيدا للاجانب ـ أنا لو كنت محاربا مثلك لما بكيت على جنود المستعمرين وما اشفقت حتى على موت الرفاق . كنت بطشت حتى يتحقق لنا النصر المبين أو نموت جميعا .

علي : أنا كنت مثلك حتى حملت السلاح ، حتى نطق السلاح فى يدى . ألا قاتل الله صوته .

محسن : لك أن تعتز بما قمت به من بطولات فى سبيل هذا اليوم الجلل ، أراك حزينا كالثكلى . ترى كيف استحال ذلك الرجل الى مثل هذه الانثى .

علي : والله ، أكاد أصفعك ، ولكنها الحماسة التى تهدر فى شعبنا اليوم. أنا لست حزينا فى الواقع . ولكن فرحتى ملطخة بالدم الذى أريق على وأرقته . ان طعم الدماء لمرير يا محسن .

محسن : ولكنه الثمن الذى لابد منه لتحيا الامانى . أنا سعيد يا أخى بأن أرفع رأسى هكذا الان وقد بدأت الحياة تعطينى معانيها واحدا تلو واحد . سعيد بأن لا يختنق صوتى من الخوف وأن لا تؤذينى كلماتى المكبوتة كالغصص . سعيد أن أمشى فى هذه الطرقات وان أحس اننى أنتمى الى هذا الشعب البطل .

علي : أنا فى عزلتى هناك على الربوة ، أصبحت شبه فيلسوف . كنت أقول فى نفسى لابد أن يستجيب القدر فارادة الحياة فينا عرمة كالحياة نفسها .

كنت فى وطيس المعركة ، آلة صماء ، أو كالمجنون . لا أحسب حسابا لحياتى . المعمعة فى لظاها تجعل الانسان مجردا من انسانيته ولكن عزلتى على الربوة جعلتنى أفكر . اذا ما من الله علينا بالنصر، فالى ماذا نحن صائرون . اخاف عليك وأنت فى مقتبل العمر آفة

النسيان • أن تنسى جذور الماضين مـن شعبـك ، تاريخنـا الذى أشبعته الدماء والدموع • أحب أن تذكر أن هذه الشمس ما كانت لتسطع بمثل هذه القوة لولا الظلال الكثيرة التى بددتها •

أن تعرف أن لاغانينا اليوم ثمنا يجعلها اودى واعمق طربا •

حتى أبوك وأبى ، راحت حياته من أجل هذا اليوم •

محسن : ولكن والدنا قضى مريضا •

عـــلى : هو شهيد رغم ذلك • شهيد الارض التى أحبهـا ، واحب غرسهـا مداعبة كفه • قواه نفخها فى الارض ولكن الحبة النامية كان يغتذى منها الغزاة وكل مرة كان أبوك وأبى يعـود الى الارض • وكل مرة تعطيه حبة يغتصبونها • ان اجيال الفلاحين فى بلادنا لم يموتوا الا متلاحمين مع الارض فى سبيل الارض •

كلهم شهداء •

وأمك أمى ، عيناها الضريرتان ألم تستشهد من كثير البكاء كلما راحت شظية بواحد منا وبابناء جيـران وابنـاء أعمام كانت تسقى ثراه بدموع طيبة كانها الرضى •

ومن أين تأتى لنا قوة البطش وشجاعة الابطال لولا رضى الامهات وأساهن المسكوب دمعا صامتا •• كان النشيج الذى كانت تخدر به الليالى ، حداء ينام معه رعبنا وتزول مخاوفنا فنقدم على الموت كاننا قادمون على شراب •

وكما أبى وأبوك وكما أمى وأمك ، لهذا الشعب أب كبير وقائد حمل له المشعل فى أحلك الساعات وسدد خطاه ووجه قواه وانحنى على جروحه بيد وقلب •

كنا نسمع صوته هنا وهناك ونسير على هديه ، أكان على أرض الوطن لـم نفذت الينا اوامره من قضبان الحديد فى أعماق السجون •• من منافى الارض عبر البحار •

سمعناه مجاهدا أكبر فى القرى والساحات والمدائن و •• من على منابرنا المستقلة •• سمعناه •• حتى كان لنا هذا اليوم •

محسن : اليوم تهلل الدنيا لنا ••• نامت عيون الشهداء قريرة لاننا نرفـع لواء الرسالة ••• نقرأها صفحات على الزمن فيستزيد ويزداد خيرا بنا وفخارا •••

عـــلى : كيف تفهم هذه الرسالة يا محسن ؟

محسن : نحن الآن شعب حر بكل ما فى الكلمة من معنى •

عـــلى : ما هى المعانى التى فى تلك الكلمة •

محسن : أن نمشى أن نأكل ، أن نتكلم كما نريد ٠

عـــلى : وماذا أيضا ؟

محسن : واشياء أخرى ، مالك تستنطقنى كما لو كنت فى امتحان ؟

عـــلى : حتى لا تطلق الكلام جزافا ٠ هذا ما أخاف منه عليك وعلى شبابنـا كان صوت النار قد استحال كلمات مدوية ٠ على ألسنتهم ٠ كل ما يقولونه أصبح مبالغا فيه ، مفرطاً فى الضخامة ٠ ان الحماسة سوط يلهب العزائم ولكن حذار من مقعدات الغرور ٠ الى العمل يا محسن، الى البناء ٠

محسن : نحن نفتخر اليوم وغدا نعمل ٠ تعال يا أخى الى الساحة حيث أقيمت معالم الزينة والبهجة تعال ندل بدلونا بين الـدلاء فتعبيرنا اليـوم يجب أن لا يحتجب عنه واحد من هذا الوطن ٠

عـــلى : سألتحق بك يا محسن ٠ دعنى قليلا فانى ما زلت فى حـديث مـع رجل الربوة ، سأحاول اقناعه حتى اصحبه معى ٠

محسن : (ضاحكا) حسنا ولكن لا تدعه يتغلب عليك ٠

(على وحـــــده)

اليوم تم الجلاء ٠٠٠ لم يبق على أرضنا واحد منهم ٠ كل اولئك الذين بطشوا وتعسفوا ٠٠٠ وتمختروا اسيادا علينا ٠٠٠ كلهم ذهبوا ولم يبق منهم أحد ٠

هى فرحة الحياة يا فيلسوفى العزيز ٠٠٠ صفـق معى ٠٠٠ واذا انحنينا ، فلنجن قوت الارض ورياحينهـا ، لا للخضـوع ٠٠٠ واذا انبطحنا فلنعانق ترابنا الحبيب ، لا من الخوف ٠

وتقول لى بعد ذلك ان طعم المرارة ما زال ملء فمك ؟ امضغ المـر حتى يستحيل حلاوة لقد مضغناه ٠٠٠٠ أقول لك امضغ ٠٠٠

اليوم يلتقى موتانا باحيائنا ٠٠٠ اليوم يلتقون جميعا على دروب المجد ٠٠٠ يتراكضون الى عناقيد هى أشهى وأبرق من الاكواب وما فيها ٠٠٠

ماذا ؟ الى أين ؟

الى هنا وهناك ٠٠٠ الى هنالك ٠٠٠ الى كل مكان ٠٠

أين ضروب البطولات ؟ ٠٠٠ أين مواكب الغار ؟ ٠٠٠ اين اعراس الكبرياء ؟ ٠٠٠

أين الجهاد الصامت العامل ٠٠٠ الكادح العاطى ٠٠٠؟

أين القلوب التي علا نبضها حتى خفت صوت المدفع ؟ أين كل ذاك العذاب ؟ أين الساقية تستحى منها الورود ··· من لونها الاحمر؟

متنا كثيرا لنحيا واخصبت جفاف الارض دماؤنا المبذولة .

نعم ··· نعم أذكر تلك المغارة .

أراها أمامي متداخلة فى بعضها بعض من ظلمة الى ظلمة أظلم ·· كيف يسير الاغوار شعاع ؟

ان ذاك الشعاع المنير كان معجزة ···

وتحققت .

يا فلول الراحلين ··· يا فلول الظلام ··· الى غيررجعة . غدا نحمل تلك المعاول ونغرزها فى السهول والسفوح والهضبات ··· نقول لها اغتسلى فارضنا طهور ··· نقول لها افرحى فارضنا معطاء ··· نقول لها اصبرى فارضنا لنا ···

***

(متوجها الى فخامة الرئيس)

قلت لنا وصدقت ان هذا اليوم كائن على جبين الزمان شامة ···

قلت لنا وصدقت ان الدياجير مدبرة وان الحق متبلج الصباح···

قلت لنا وصدقت ان العيون التى انطفأت ستنفتح من جديد على هذا اليوم الاغر .

أرأيت الى الرجال ، الى الجنود ، الى النساء .

أرأيت الى تلك الحناجر ، أهاب بها صوتك العظيم مدويا فانطلقت بالغناء وصرخت فى العروق الدماء ··· ما مات يوم خلدته بالجلاء .

عصام سليمان

---

* مثلت للمرة الاولى أمام فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة أثناء الحفل الساهر الذى أقامه على شرف الامبراطور هيلا سيلاسى فى قصر الرئاسة بقرطاج 22 اكتوبر 1963 .

بطـــولة وجــــلاء

شعر : عبد المجيد بن جدو

سَيْلٌ مِنَ الشَّعْبِ أمْ سَيْلٌ مِـنَ النَّـــارِ
دَفْقٌ مِنَ النَّهْـرِ . أمْ هَزّاتُ إعْصَـــارِ
أمْ تِلكَ فِي سَــاحَةِ الهَيْجَـاء مَلْحَمَـة
بَحَّتْ عَلى صَوْتِهَــا أصْدَاءُ أوْتَـــار
أمْ تِلْكَ أغْنِيَّـة تَحْـدُو مَشَـاعِـرَنَـا
بِمَـوْكِبٍ فِي دُرُوبِ المَجْـدِ سَيَّــار
أمْ ذَاكَ شَــلالُ لحْنٍ هَــاجَ هَـائِجُـهُ
فَلَمْ يَسَـعْ سَيْلَـهُ جَوْفٌ لأنْهَـــارِ
أمْ تِلْكَ فَـرْحَـةُ شَعْبٍ جَـاوَزَتْ أمَـداً
تَطْـوِي المَسَـافَـاتِ وَثْبـاً طَـيَّ جَبَّـار
أمْ ذَاكَ لحْـنٌ يُثِيـرُ اليَوْمَ خَـاطِـرَةً
ـ مِـنْ بَعْدِ مَـا قَدْ عَفَـا ـ تَحْرِيرُ أقطارِ
يَا يَـوْمَ بِنْـزَرْتَ هَلْ فِي القَـوْمِ مِنْ أحَـدٍ
لمْ يَهْزِجِ اليَوْمَ مِنْ سُكْـر وَمِـزْمَـارِ
يَا يَوْمَ بِنْـزَرْتَ هَـلْ فِي القَوْمِ مِنْ أحَـدٍ
كمْ يَرْقُصِ اليَوْمَ أوْ يَهْتِفْ بِأشْعَـــارِ
اليَوْمَ نَفْتَـحُ سِفْرا فِي مَفَاخِـرِنَـــا
وَنَسْتَعِيـدُ بِنِـهِ حُـرِّيَّـةَ الـــدّارِ
وَفِيهِ نَطْـوِي سِجِــلاً مِـنْ مَعَــارِكِنَـا
ومِـنْ عُبُـودِيَّـةٍ أوْدَتْ بِـأحْــرَارِ
يَـا يَوْمَ بِنْزَرْتَ ـ مَا يُـدْرِيكَ ـ هلْ عَرَفَتْ
رُجُـومُكَ الحُمْـرُ قَلْبـاً غَيْـرَ مِغْوَارِ
يَا يَوْمَ بِـنْزَرْتَ ـ لَوْ تَدْرِي قَـذَائِفُـــهُ

تلكَ القَذَائِفُ لمْ تَظْفَرْ بِأوْطَارِ
وَهَلْ أفَادَ بِهِ تَحْلِيقُ طَائِرَةٍ
أمْ هَلْ أفَادَ بِهِ رَمْيٌ لِطَيَّارِ
أمْ هَلْ أتَى المِدْفَعُ الرشَّاشُ مُعْجِزَةً
فِي مَوْكِبِ الخِزْيِ وَالعُدْوَانِ وَالعَارِ
أمْ هَلْ تُنِيرُ ظَلامَ الليْلِ فَوْهَتُهُ
فَلَنْ يُضَاءَ الدّجَى مِنْ بَارِقٍ نَارِي
وَهَلْ يُنِيرُ الدُّجَى فِي حِينِ ظُلْمَتِهِ
الاّ الأمَانِي وَإلاّ الكوْكَبُ السَّارِي
اليَوْمَ نُلبِسُ تَاجَ النَّصْرِ أمَّتَنَا
واليَوْمَ نَضْفَرُ إكليلاً مِنَ الغَارِ
وَاليَوْمَ نُسْكِتُ صَوْتاً عَنْ حَمَاقَتِهِ
وَذَاكَ عَهْدُ الأذَى وَلّى بِإدْبَارِ
لا الحَرْبُ تُذْهِلُنَا لا المَوْتُ يَقْتُلُنَا
لا الدّهْرَ يَهْزِمُنَا جَوْرٌ لِفَجَّارِ
لا الطّائِرَاتُ التي دَوّتْ بِقَلعَتِنَا
لا السَّابِحَاتُ ولا أسْطُولُهَا الجَارِي
لا الخَافِرَاتُ اسْتَطَالتْ فِي إغَارَتِهَا
ظَلَتْ تَئِزُّ، وَلا جَيْشٌ بِأوْكَارِ
لا قلعَةُ الجُنْدِ لا الاسْلاكُ شَائِكَةً
قَدْ عَزَّزُوا حِصْنَهَا بَغْياً بِتَيَّارِ
لا الطَّنْك رَابَطَ، لا الاسْطُولُ يَعْضُدُهُ
وَلا "النَّبَالِمُ" حَالتْ دُونَ أحْرَارِ
وَلا الخَنَادِقُ لا الاكْيَاسُ تَمْنَعُنَا
عَنْ زَحْفِنَا الفَرْدِ لا إعْلاءُ أسْوَارِ
لا القَذْفُ لا القَصْفُ تَرْمِينَا البِحَارُ بِهِ
وَهَلْ ثَنَتْ رَمْيَةٌ زَحْفاً لِثُوَّارِ

وَجَيْشُنَا اليَوْمَ فِي طُول الرَّصِيفِ غَدَا
يُودعُ القَائِدَ الغَازِي بِإِكْبَارِ
فَالحُرُّ حَيَّا جُيُوش الغَاصِبِينَ وَلَمْ
يَكُنْ تَحَرُّرُهُ رَهْنًا بِأَقْدَارِ
وَهُوَ الذِي فِي الوَغَى لمْ يَنْهَزِمْ أَبَدًا
وَهَلْ ثَنَى زَحْفَهُ "أَمَّانُهُ"(1) الضَّارِي
ام أجفلته دروب ظل يقطعها
في يوم محنته حُفَّتْ بأوعار
ام هل ثنى عزمه في الحرب زعْنِفَةٌ
جاءتْ الى حربه ام خوف أخطار
مَا الثَّارُ الا جلاءٌ قَدْ ظَفِرْتَ بِهِ
يَا شَعْبُ فاهْنَأْ فَذَا مِنْ أَفْضَلِ الثَّارِ
يَا شَعْبُ غَنِّ كما احببتَ، هَلْ فَرَحٌ
أدْنَى الى القَلْبِ مِنْ إجْلاءِ غَدَّارِ
مَنْ هَدَّمَ الدُّورَ والاكْوَاخَ طَائِرُهُ
وَقَتَّلَ الأبْرِيَا تَقْتِيلَ جَبَّارِ
وَقَوَّضَ السلمَ فِي بِنْزَرْتَ والتحمتْ
فلول جيشٍ له في الحرب جَرَّار
حَتَّى إذَا الشَّعْبُ لمْ تَرْجِعْ جَحَافِلُهُ
ولمْ يَلُذْ جَمْعُهُ خَوْفًا بادبار
ألقَى سلاحًا. وأبْدَى من تَعَقُّلِهِ
مَا نَحْنُ نُبْدِيهِ مِنْ عَزْمٍ واصْرَارِ
واليَوْمَ ولَّى واجلى جَيْشَهُ وَغَدَتْ
كتائبُ الشعْبِ تَمْحُو وَصْمَةَ العَارِ
فاليَوْمَ نَحْنُ وَفِي بِنْزَرْتَ مَوكِبُنَا
يَمْشِي رُوَيْدًا. وَهَذَا فُلْكُهُ جَارِ

عبد المجيد بن جدو

(1) هو الاميرال الفرنسي

الطفـــــل والبحـــــر

بقلم : البشير المجدوب

من منـا، مهمـا تعددت اشغـاله وثقلت همومـه، لم تـراوده يومـا أطيـاف الصبا ولم يستخفـه الطـرب الى صور الطفولـة ولذاتهـا الابـكار واحلامهـا الحسـان ! ؟

من منا، مهمـا طغت عليه حياة العصر باعبائهـا الثقـال، لم يشتـه في بعض ساعاتـه أن ينغمس ويغيب ويضـل ضلالا بعيدا في دنيـا الطفولـة، ولا رقيب ولا عذول ،أن يعـود الى الموطن المهجـور، وقد خلع شخصه الثاني المستعـار، وتجرد ممـا ألبستـه اياه وأثقلتـه بـه السنون، واستعـاد بكارة نفسـه وفطرتـه الاولى ! ؟

أف للرصـانـة والوقـار ! وقـاتـل الله كل زميت ثقيـل !

وتتوق النفس الى الوصـال وتنصرف، وقد بـرح بهـا الظمأ والحنين، تخطب أجزاء ذاتهـا السارحة، الحـائمـة، الضـائعـة او الـكامنة في الزوايا المظلمة من أعمـاقهـا.

أطيـاف تستفيق شيئـا فشيئـا من سباتهـــا وتبعث وتتصور، وتضيء وتزهو وتأخذ بيد بعضهـا، وتتعـارف وتتعـانق وتلتئم نـدوة من السمـرحينـــا وحلقة من الرقص أحيـــانـا.

مسرح لا تعوزه الاضواء ولا الالـوان... تام البهـرج والإغراء

افـراح وافـراح... أفراح شتى، عناقيـد من الذكريـات يدهمك طعمها فلا تني تلتـذهـا حائـــرا بين ألوان قطـوفهـــا.

منهـا فرحة الصبي عند لقـائـه الاول بالبحـــــر...

بحر يرف أمـامـه ويخفق ويبرق ألقـا متداركـا متجددا أبـديـا... خضم لايحد من الزرقة العجيبة الزّاهية نضرة وصفاء، تستحم النفس فيها وتبترد وتمرح وتزدهي

مـا اعظم هذا المشهد ! اعظم مـا يكون واعجب ! أشد ممـا تسعـه النفس وتطيق.

أكل هذا الجمال لي، أعطيته هكذا فجأة، فيضا جياشا لا ينثني، هدية سمحة تزف الي دفعة واحدة على غير موعد أو انتظار ؟

فضاء يغمر النفس فتصعر وتتضاءل وتدق... كالفرخ من الطير يواجه المدى الهائل الوسيع لاول مرة.

يغمرها طاميا طاغيا ويؤنسها معا فتتفتح له وتهش وتنشرح... نظير ما يحسه الولد يحتضنه أبوه... النقيضان من رهبة وسرور، من أنس وجلال .

جمال غض طري متولد النضارة والحياة في كل حين.

من أين استقى الإنسان معنى الخلود، ذلك المعنى الخارق... ذلك الممكن المستحيل، ان لم يكن استلهمه من عظمة الكون وسحر الطبيعة وطرافة الوجود ؟

ومعنى الحرية، وقد شغف به الى حد الإسراف والجنون، من أين استوحاه ان لم يكن من تلك الينابيع التي لا يجد لها ولا يعرف حدا وانما هي معين لا ينضب وآفاق لا تنتهي.

البحر... تجربة أولى، أول اكتشاف لجمال العظمة، بادرة تحسس مبهم بريء لنموذج من الحسن على حدة، لما فيه من روعة ورهبة... حسن عملاقي تطأطىء النفس لديه وتسجد، وتلذ وتسعد...

استشعار اللذة في الخوف والخطر... نكهة غريبة شاذة

ادراك غفل يجهل ذاته، تنبه لما في الكون من عمق وجاذبية وخفاء لا قرار لها.

نافذة يطل منها الصبي على العالم الاوسع الابعد، يستشف سحر ندائه ويتطلع في جزع وشوق الى المغامرة... الى الرحيل ،الى دنيا العجائب والاساطير.

في كل صغير صورة، روح من السندباد وتوقه الجامح الى المجهول.. الى المدى... الى اللانهاية .

البحر خطوة أولى وستدرك نفس الطفل بعد لاي صورا أخرى من العظمة دقيقة معقدة :

جلال الغاب وما فيه من سكينة جزلة حبلى بالاسرار، زاخرة بأنفاس الحياة وهمساتهـا.

بهجة الليل... ابهته في حالي ابتسامه وتجهمه، قريب الى النفس محبب سواء في لينه وعناده، في غلظته وانسه.

صورة للرب في صمته المطلق وبلاغة رمزه الممتنع الجلي. عليه غشاء من الالغاز تساورنا من كل جانب... تمسك بتلابيبنا... أشباح ساخرة عابثة... سراب خلب فتنة لالبابنا واعيننا.

هيبة الجبال في كبريـاء عزلتها تتحدى وتتطـاول بقممها المصعدة في عنان السماء.

روعة السحب المدلهمة الزاحفة قطعانا من الهوام المكشرة الواجمة العابسة، وسنفونية البروق والرعود كأنها الحلقة أو الجوقة من الجن في جلجلة ورقص وعربدة وجنـون.

كائن يحلم ذاك هو الطفل، وهل الكاتب الا طفل كبير لم تشب نفسه ولم يذو قلبه بل قد تحدى العجز والهرم والموت.

أنا أحلم اذن أنا موجود ... حقيقة لا تقل وزنا وروعة عن حقيقة العمل الكادح المنتج والتفكير الجدي العميق.

هي في الصميم من شخصيتنا المتعددة الوجوه، المتقلبة المتضاربة الاحـوال، الزاخرة بذرات الحياة وبذورها، وأشلائها وصرعاها.

هي جامع شتاتنا المبعثر وعنصر الاستمرار والديمومة فينـا.

كيف تجد ذاتك الحق، كيف تهتدي اليها بين ذواتك العديدة المتناقضة، كيف تستخلصها من هـذه الفوضى وهذا الازدحام، وتؤلفها جوهرا جامعا، عنصرا موحدا مشرفا مسيطرا على الكل... عنصر وئام وانسجام... بين "نشاز السوقة والطغـام"... لولا ذلك العمل الصامت والبناء الدائب يجري متواضعا في الاعمـاق... لولا الذكريات والاحلام.

نعم أنا أحلم فانا موجود، ولكنه فن ضائع مهمل سخيف ولا عجب فليس أبعد عن الانسان من ذاته وجوهره.

البشير المجذوب

من وحي الجـــــلاء

شعر : الهادى نعمان

أي مجد يضفي عليك التماما ... تونس المجد لا عرفت ظلاما
خلدي يومك العظيم إدكارا ... خلديه ... يوم الجلاء سلاما
وارفعي الرأس فوق هام المعالي ... مشمخرا وردّدي الانغـــامـــا
وافرحي بالمصير من بعد أتعا ... ب جسام قد أنهكت أجساما
غير أن الارواح لم تتأثــــر ... بعذاب ولم تبال الحماما
في سبيل الخلاص يا تونس الخضـ ... راء كنا نلقى الخطوب جساما
فتزيد الخطوب منا اتقـــاداً ... وحماساً وهمة تتسامـــى
وأتى اليوم يوم عيد جـــلاء ... يتهادى محققـاً أحـلامـــا
الامـــاني بواسم تتغنــــى ... والمواعيد دافقـــات كرامـــا
والمـــآسي منسيـــة بصبـــاح ... يهدم الليل ثم يطوي الظلاما
والشعور الممراح يدفق بالبشـ ... ـرى يحيي عبر السما الاعلامـــا
ذا شعــور المــواطنين جميعاً ... يملأ الارض والسماء ابتساما
والاحاسيس زاخرات بشدو ... هي من فيضه تجيش عراما
وهتاف الاحرار يدوي ويعلو : ... عشت يا منقذ البلاد سلاما
ودعاء الاوطان: عاشت أسودي ... تحفظ المجد بالفداء هياما
ونشيد من ساميات الضحايا ... يتعالى مباركاً أحلامـــا
يتنـــادى : الحق يعلو وتبقى ... ذكرياتُ الكفاح فخراً مقاما
كل شيء لهين لبـــلاد ... أنجبتنا وما خفرنا الذماما
أي مجد يضفي عليك التمـــامـــا ... تونس المجد لا عرفت ظلامـــا
خلدي يومك العظيم ادكـــارا ... خلديه... يوم الجلاء سلامـــا

الهادى نعمان

الحياة الثقافية والفنية بقرطاج

بقلم : محمد فنتر

ورد عن المؤرخ الروماني يوسطنيوس (Justinien) ان عليسة أخت بجماليون (Pygmalion) ملك مدينة صورد رحلت عن بلادها لما قتل أخوها زوجها وكان يريد الاستيلاء على أموالها وصحبها في هجرتها ثلة من أعيان صورد خوفا من طغيان الملك وجبروته. ولما وصل الركب الى جزيرة قبرص نزلوا بها للراحة وكان سكان الجزيرة في استقبالهم بكل حفاوة. وبعد الاستراحة أمرت عليسة بالرحيل وأخذت من نساء الجزيرة أروجا لصحبها وانصرف الجميع نحو السواحل الافريقية وحلوا بها وتمكنت أميرتنا من تأسيس المدينة الحديثة مقابل مبلغ مال تدفعه سنويا إلى ملك ليبي يدعى يرباص (Iarbas) وقيل ان الملك هذا قد اعجب بشجاعة عليسة وبقوة شخصيتها فاراد أن يتزوجها وكان ذلك من العسير على أميرتنا فباتت في حيرة فان قبلت الزواج ارتكبت محرما ازاء زوجها المغتال وان رفضت كان ذلك خطرا على المدينة الحديثة من جزاء غضب يرباص ثم وجدت حلا بطوليا فقد أرسلت إلى يرباص تنبئه برضاها على أن يمهلها فترة من الزمن ولما جاء أجل الزواج أمرت عليسة باشعال نار قرب منزلها وألقت بنفسها فيها وذهبت هكذا ضحية لشرفها ولحياة مدينتها.

انها لاسطورة جميلة يلذ لنا الاستماع لها غير أنه من العسير علينا أن نقدر نصيبها من الحقيقة التاريخية ولا يسعني أن أقوم هنا بنقد هذه الاسطورة نقدا علميا حسب الطرق التي يتوخاها المؤرخون حاليا ولا يمكنني أيضا أن أحدثكم عن الاسباب التاريخية التي بعثت قرطاج الى الوجود بل اكتفي بقولي ان قرطاج أسست حسب آراء غالب المؤرخين سنة 814 قبل الميلاد وسرعان ما أصبحت مدينة عظيمة يهيمن أسطولها على كامل غربي البحر الابيض المتوسط وازدهرت حضارتها وسنكتفي اليوم بالحديث عن حياتها الثقافية والفنية.

ان أول سؤال يلقيه المؤرخ على نفسه إذا أراد درس مسألة تاريخية هو التالي : "ما هي المصادر التي نستمد منها معلوماتنا وما هي الوثائق التي يمكننا الاعتماد عليها؟

أما في ما يخص موضوعنا هذا فلنا مصادر أدبية بعضها يوناني وبعضها روماني الاصل أخص بالذكر منها بوليب ويوسطنيوس وديدور الصقلي وغيرهم

ولنا بجانب المصادر الادبية مصادر أثرية. وكثيرا ما ألقي علي هذا السؤال : ما الفائدة في التنقيب عن الاثار وما الفائدة في درسها ؟

إن علم الاثار هو علم يعتني بدراسة ما أبقته لنا الشعوب الغابرة من بنايات كالقصور والمعابد وغيرها ومن تحف كالتماثيل المنحوتة والفخار مثلا وما كان علماء الاثار ليدرسوا هاته الاطلال من أجل نفسها بل ينكبون عليها ويدرسونها بكل دقة لانها تكون وثيقة ثمينة لمن أراد معرفة الماضي وضبط تاريخ شعب من الشعوب القديمة.

ولكم مثلا في هذا : عرفت بلاد ما بين النهرين (Mèsopotamie) حضارات عديدة وربما كانت تلك البلاد أول رقعة أرضية نبتت فيها الحضارة البشرية وازدهرت وذلك لاسباب عديدة يعسر علينا الحديث عنها. وأول هاته الحضارات هي حضارة سومر (Sumer) بزغت شمسها في الالف الرابع قبل المسيح وبلغت أوجها ثم انهارت قواها واضمحلت وتراكمت عليها طبقات التراب والنسيان وخلفتها حضارات أخرى شيدت مدنها فوق المدن السابقة حتى لم يبق على أديم الارض شيء يحدثنا عن سومر فاللفظة نفسها كانت مجهولة وذلك حتى أوائل القرن العشرين لما أتى علماء الاثار ينقبون في العراق وانجزت الحفريات فبرزت مدن سومر العتيقة بمنازلها واسواقها وطرقها ومعابدها فتمكن علماء الاثار هكذا من احياء حضارة كنا نجهلها تماما مما يشهد بقيمة علم الاثار عند المؤرخين.

وليس في وسعنا أن نتعرف بالحياة الثقافية والفنية بقرطاج إذا تركنا جانبا كل ما اسفرت عنه الحفريات التي انجزت بقرطاج أو بالمدن البونيقية الاخرى ويبدو لنا أن المعطيات الاثرية تكون غالبا أكثر قوة واثقل وزنا من المصادر الادبية واقرب منها إلى الحقيقة التاريخية اذ ليس في امكان المعطيات الاثرية تزييف — ولو قليلا — الواقع التاريخي، فهي لا تستطيع الكذب والبهتان بل تحدثنا بكل صدق وصراحة. نعم إنها لا تبدى كل اسرارها الا أذا وجدت من يعرف إلقاء الاسئلة عليها ومن يفهم لغتها وهذا علم دقيق يستوجب دراسة عميقة.

الحياة الثقافية :

مصادرنا اذا ادبية واثرية ونعتمد خاصة على المصادر الادبية في حديثنا عن الحياة الثقافية . يبدو أن غالب البونيقيين كانوا يتعاطون التجارة والصناعة مما جعل ثقافتهم ترمي قبل كل شيء الى معرفة ما يمكنهم من مجابهة الحياة اليومية واقتحام صعوباتها من ذلك وجب على التاجر أن يتعلم الحساب بمقدار يكفيه حل المشاكل العملية اليومية دون أن يتوغل في بحر الحسابيات وليس من الغريب أن يحسن تجار قرطاج لغات عديدة حتى يتمكنوا من مخاطبة زبائنهم في المدن الاجنبية فلم تكن اللغة اليونانية مجهولة عندهم وكانوا يترددون على الاسواق اليونانية.

الا أن المدينة الحديثة لم تخل من النشاط الادبي البحث فكانت لها دار كتب عظيمة اشتهرت عند القدماء ولكم ما قال ابلين الاكبر في هذا الصدد : "(1)بعدما حطمت جيوشنا قرطاج وهب مجلس الشيوخ (Le Sénat) كتب هاته المدينة الى الملوك الافارقة ولم يحتفظ إلا برسالة ألفها ماجون في علم الفلاحة وقرر ترجمتها الى اللغة اللاتينية وقد كلف بذلك العمل أناس كانوا يحسنون البونيقية وشارك في ذلك رجل ينتمي الى عائلة نبيلة يدعى سيلنوس".

وزعموا أن بعض الملوك الافارقة قد اقتبسوا من كتب ومؤلفات بونيقية عندما صنفوا هم أنفسهم كتبا في التاريخ وغيره وقد اشتهر من اولائك الملوك الكتاب يمبصال (Hiempsal) ويوبا الثاني (Yuba II.) وتحدث الاستاذ (G. Picard) في كتابه "العالم البونيقي" عن دار كتب قرطاج قائلا : "لما دخل شبيون قرطاج وجد بها ديار كتب لم تمس بسوء وسمح للملوك الافارقة أن يضعوا ما تحتويه تلك الديار في مأمن ولم يوجه أحد همه – مما يؤسف اليه – نحو ترجمة تلك الكتب سوى رسالة ألفها ماجون في علم الفلاحة".

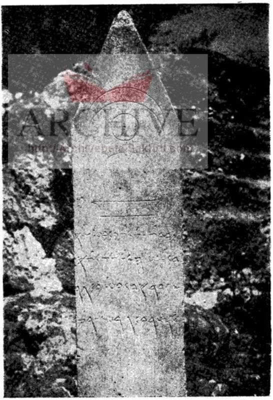
وأمر كاتون (Caton) وكان اذاك عضوا بمجلس شيوخ رومه بالعمل بنصائح تلك الرسالة وحث الفلاحين الرومان على التمعن فيها ويجدر بنا أن نعبر عن عظيم أسفنا لفقدان تلك الكتب البونيقية ولم يبق لنا منها سوى أصداء عن رسالة ماجون (Magon) التي ذكرنا وذلك خلال بعض المصادر الرومانية وتنبئنا تلك الاصداء أن ماجون قد وجه همه خاصة ازاء الاشجار المثمرة فبين متى يجب غرسها

(1 Pline l'ancien XVIII, 22.

(2 G. Picard: Le Monde de Carthage P. 26.

وبأي صفة يكون ذلك ذاكرا كل ما تستوجبه من عنايه كالسقي والشذب مثلا.

وقد كتب ماجون رسالته باللغة البونيقية وكانت لا تختلف في ذاتها عن لغة صور والحروف البونيقية تشبه تماما الحروف الفينيقية إلا أن البونيقيين أصبحوا بعد زمن طويل يكتبون بحروف سميت بالحروف البونيقية الحديثة لاشك انها مقتبسة من الحروف الفينيقية فمنهم من يقول انها حروف بونيقية اعتراها تغيير وآخرون يعتقدونها حروفا فنيقية كانت تستعمل منذ قديم الزمان بجانب الحروف البونيقية المعروفة الا أن استعمالها قد كثر بعد تحطيم قرطاج وليس في وسعي أن أبين لكم السبب في ذلك.



كتابة بونيقية

ولئن فقدنا جميع الكتب البونيقية لنا من النقائش (Inscriptions) ما يمكننا من معرفة لغة حنبعل وتطورها واصبحت تدرس هاته اللغة بالجامعات الاوربية وأتمنى أن يكون في وسع جامعتنا التونسية تدريس هاته اللغة في أجل قريب ومن أراد تعلم الفنيقية والبونيقية الحديثة وجب عليه قبل كل شيء دراسة العبرية فهي مفتاح لجميع اللغات السامية وارى معرفتها فرضا لمن أراد التعمق في فقه العربية.

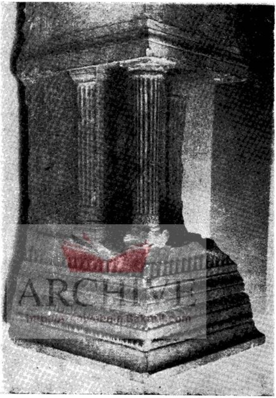
ويبدو أن ديار كتب قرطاج كانت تشمل عددا كبيرا من الاسفار اليونانية مما يدل على وجود علاقة متينة بين قرطاج والحضارة اليونانية ولقد كانت الفلسفة اليونانية تدرس بمدينة عليسة وقد بلغ تأثير الحضارة اليونانية اوجه في عهد البرقيين (Les Barcides) ونلمس ذلك التأثير اليوناني في جميع ميادين الحضارة البونيقية كالفن مثلا.

الحياة الفنية :

أبدى المؤرخون قساوة عظمى في حكمهم على الفن البونيقي ومنهم من يرى أن الحضارة البونيقية خلت من الروح الفنية ولم تبعث شيئا للوجود في هذا الميدان وأول كتاب في هذا الصدد خرج منذ أشهر ألفه ماكس بول فوشي (Max Pol Fouchet) الا أنه حسب رأينا لم يفهم شيئا من فن قرطاج وقد بالغ في قساوته حتى أنه لم يدع كتابه "فن قرطاج" بل سماه "الفن بقرطاج(1)" لانه يعتقد — ويشاركه في اعتقاده هذا ثلة من المؤرخين — أن قرطاج كانت عاجزة عن خلق الأشياء الجميلة بل يرون أن ما وجد بالمدينة من أشياء جميلة ليس هو من صنع البونيقيين بل من صنع اليونانيين مثلا لذا تراهم يطنبون في الحديث عن تأثير الحضارة اليونانية على قرطاج.

اننا لا ننكر العناصر اليونانية التي نلمسها في الفن البونيقي سواء كان ذلك في ميدان الهندسة او النحت. ففي الهندسة البونيقية ترى ميزات الفن اليوناني كالاساطين اليونية (Les colonnes ioniques) ونرى بها أيضا نقوش الدرر والقريصات (Perles et pirouettes) كلها من خاصيات الهندسة اليونانية وزينتها.

(1 L'Art à Carthage.



معبد بونيقي صغير الحجم تلمس فيه تأثير الفن اليوناني على هندسة قرطاج

كما نشاهد ميزات الفن اليوناني على نصب أقامتها الطبقات الشعبية قربانا للآلهة نلاحظ بها الجبهة الثلاثية مثلا (Le pronton triangulaire) وهي خاصية من خاصيات المعابد اليونانية. قلت انها نصب أقامتها طبقات شعبية فهل يشهد ذلك على أن الشعب البونيقي كان متشبعا بالحضارة اليونانية حتى أثرت على جميع نشاطه ؟ انه لمن العسير حل هاته المشكلة وكل مايمكننا قوله هو أن الذين نحتوا النصب كانوا على دراية بالفن اليوناني وربما شاهدوا في مدينتهم هيا كل شيدت وزخرفت حسب الذوق اليوناني فنقلوا عنها.
وقد تأثر الفن البونيقي أيضا بالحضارة المصرية وفنها ونلمس عناصر مصرية في نصف القرن السادس حيث ترى القرص المجنح " disque ailé "

والافاعي " Uraei " رسمها النحات على ما فوق الاساطين وقد وجدوا بسوسة نصبا نحت عليه عمودان من نوع مصري وعلى كليهما صورة امرأة مسكت هلالا فوق ثديها وتقلنست كالالهة المصرية هاثور (Hathor) وهذا دليل قاطع على وجود عناصر مصرية بالفن البونيقي.

وقد أثرت مصر على المدن الفنيقية جميعها منذ العصور الغابرة ونلاحظ ذلك في جبيل منذ الالف الثالث قبل الميلاد ولاشك أن عددا من عناصر الزينة (Décor) المصرية لم تأت قرطاج عن طريق مصر مباشرة بل عن طريق المدن الفنيقية.

ويجدر بنا ألا ننسى بجانب العناصر الفنية الخارجية ما ينتسب الى قرطاج والى التراث الاصلي السامي. نلاحظ هذا في ميدان الهندسة فغالب المنازل البونيقية التي عثر عليها بمدينة كركوان قرب مدينة قليبية ترجع الى أصل بونيقي سامي كما نلمس هاته العناصر الاصلية ببعض الصور رسموها على النصب. ونلمسها أيضا خلال الاقنعة :

كان البونيقيون يخشون قوات الشر فتراهم يفتشون عن اسباب التحصن منها مستعملين الاقنعة البشعة سعيا وراء اضحاك تلك القوات الشريرة اعتقادا منهم في عجزها عن فعل الشر كلما تملكها الضحك ونلاحظ هذه العقيدة عند اطفالنا الصغار فإذا غضبت الام على ابنها شعر هذا بخطر الضرب يهدده فتراه يحاول ابعاده عنه بشتى الوسائل وكثيرا ما يسعى في اضحاك أمه فإذا ضحكت اطمأن وأيقن من زوال الخطر.

وقد ترى جميع العناصر التي ذكرنا في بناء واحد كضريح دقة (Mausolée de Dougga) شيد على نمط بونيقي في القرن الثاني قبل المسيح الا أنك تجد به عناصر يونانية كالاساطين اليونية وأخرى مصرية كالحلق المصري (La Gorge Egyptienne) الذي تشاهده فوق الاساطين.

واعتمد بعضهم على وجود هاته العناصر المختلفة في الفن البونيقي وقالوا ليس للبونيقيين موهبة فنية وقد اقتبسوا عناصر زينتهم من حضارات عديدة دون أن يحاولوا تفهم ما اقتبسوه لذلك تراهم لا يحسنون النقل ولئن شيدوا ونقشوا على نمط يوناني فلن ترى لهياكلهم ونصبهم رشاقة الفن اليوناني وطرافته تلك نظرية نجدها عند غالب من كتبوا في تاريخ قرطاج وفنها ولقد ضلوا الطريق حسب رأينا. نعم قد اقتبس البونيقيون عناصر مختلفة من حضارات مختلفة الا انهم أبوا أن يقلدوها تقليدا

أعمى بل أرادوا ان يخلقوا فنا بونيقيا يعبر عن شخصيتهم وخاصيتها حتى أعطوا لما استعاروه طابعا محليا وكانت طرافتهم في جمع تلك العناصر المختلفة ووضعها في قالب بونيقي وخلق تحف بها روح بونيقية تتكلم لغة بونيقية مما يدعونا اذا أردنا تفهم هذا الفن إلى مخاطبته بلغة يونانية او مصرية والخطأ هذا قد وقع فيه غالب المؤرخين اذ خاطبوا الفن البونيقي بلسان يوناني ونظروا اليه بعين تعودت النظر الى التحف اليونانية حتى انها أصبحت عاجزة على تذوق فن تعدى حدود الفن اليوناني وعاكس قواعده.

فلم يـر الفن البونيقي الاشياء حسب قواعد الطبيعة فهو لا يصف تلك الطبيعة بل هو فن له علاقة متينة بالدين كما هو الحال في غالب الحضارات العتيقة رائده التعبير عن الشعور الديني وعن دقات قلب المؤمن: فإذا نحت البونيقي تمثالا فهو لا يريد من وراء ذلك خلق عالم فني ببحث تلك نظرة عصرية لم يتصف بها اليونانيون انفسهم بل يسعى الى التعبير عن علاقته بربه ومعبوده طالبا منه سعادة الدنيا بتحقيق امانيه ومتعوذا به من قوات الشر التي تهدد نومه ويقظته وإذا مكننا تمثال اونصب من لمس كل ما يخالج المتعبد من خواطر ومشاعر دينية وحياة داخلية شهد له ذلك بقيمة فنية عظمى وقد قام الفن البونيقي بمهمته هذه أحسن قيام اذ نشعر "بحرارة بشرية" كلما لمسنا نصبا من نصب التوفات.(1)

هكذا نستطيع أن نقول بكل طمأنينة اعتمادا على مصادر أدبية واخرى أثرية أن المدينة الحديثة عرفت نشاطا أدبيا جديرا بالذكر وحركة ثقافية فعالة وقد خلقت ايدي عمالها فنا عبر تعبيرا صادقا عما كان يخالج الروح البونيقية وتلك هي رسالة كل فن.

محمد فنتر

---

(1) التوفات : معبد من معابد قرطاج كانت تدفن فيه بقايا الضحايا البشرية بعد حرقها .كانت تقدم قربانا لتانيت (Tanit) وبعل حمون (Baal hammon)

المقعـــــــــد

شعر : محسن بنحميدة

لبئـس ذاكَ المـقْـعَدُ
فِي جَـنَّةٍ خُضْرَتُـهَا زَبرجَـدُ
عَـلَيْهِ شَـيْخٌ ... هَـرِمٌ وَمُقْعَـدُ
إذَا مَـرَرْتَ حِـذْوَهُ يَرْتَـعِدُ
ضَغِينَـةً حَفِيظَـةً يَرْتَـعِدُ ...
لا ... لاَ تُـعِرْهُ لَفْـتَةً ... سَتَقْـعُدُ

*

وَنِعْمَ هَـذَا المقْعَـدُ
فِي جَنَّـةٍ خُضْرَتُـهَا زُمُـرُّدُ
عَـلَـيْهِ طِفْـلُ ... مَـرَحًا مُـزَوَّدُ
إذَا مَرَرْتَ حِذْوَه يَرْتَعِـدُ ...
مَـحَـبَّـةً بَـرَاءَةً يَرْتَعِـدُ
فَاجْـلِسْ ... وَلُذْ بِقُرْبِـهِ ... سَتَسْعَـدُ

محسن بنحميدة

عبــــــث

قصة بقلم : الحبيب ابراهيم

قـال لهـا الطبيب بأن مخاضهـا قريب

قـال لهـا ان المسألـة مسألـة أيام قلائل، فعـادت الى "الادارة" تحمل الى زميلاتهـا الراقنات بشرى الحدث السعيـد .

قالت لهن كلمـات كلهـا أسرار : « سألزم منزلي ابتداء من الغـد شهـرا ونصفـا ».

واتجهت صوبهـا عيون ثمـان محدقـة فيهـا من جديـد. واستقـرت النظرات فيهـا استقـرارهـا على كائن غريب. وامتلأت العيـون بغيـر مـا كـانت مشحونـة بـه كل صباح ومساء.

وبدت "مريم" اليوم غير مريم الامس. من وجههـا يتدفق نور جديد. بسماتهـا الرقيقـة تبعث راحـة في النفس وامنـا. في نظراتهـا ثقة وعـزة وكبــريــاء.

مريم الامس لم تكن الا زميلـة. لم تكن الا فتـاة مثلهن. لم تكن الا طفلـة كبيرة. لم تكن الا كلمـة... كلمـة.

حقـا انهـا متزوجة. ولقد حضرن حفـلات زواجهـا. نعم. انهـا متزوجـة. لـكن مريم العزبـاء لم يقتلهـا الزواج. لقد بقيت هي هي. بقيت زميلـة. زميلـة وكفى – بقيت طفلـة كبيـرة. بقيت فرعـا طـريـا. لقد أضيفت الى الـكلمـة كلمة أخرى. لـكنهـا بقيت. بقيت اسمـا. بقيت كمريم العزبـاء تمـامـا.

أمـــا اليـــوم

فـكل شيء فيهـا قد تبدل.

ستمـوت اليوم مريم الامس. سيموت الامس كلـه. سيتحـرك فيصبح الفـرع أصلا ويصبح الاسم فعـــلا.

مريم دشنتهـا الخليقـة. ابواب البقـاء مفتـوحة أمـامهـا. ستقـوم برسالة

الانوثة. ستعيد الامانة الى أمها. مشيئة الله فيها تتحقق ستكون جديرة بأن تكون.

ألم يعلن لها الطبيب في همس السحرة أن مخاضها قريب ؟

بكل هذا تحدثت العيون. وارتفعت الى السماء دعوات صامتة بأن يتحقق فيهن ما تحقق في مريم.

وامتدت الى يد المحظوظة يد أخرى، يد زميلة أخرى، يد "فردوس" الام...

لقد هزها الحدث هزا. أختها الصغيرة ترتفع الى عرشها الباسق. فمدت لها يدها مليئة بالفخر والاعتزاز.

ثم حان وقت الخروج. وسارت مريم صوب الباب وئيدة الخطى تتهادى – وافسحت لها زميلاتها الطريق. وهمست احداهن :

مريم هذه لن تعود ! »

وتساءلت أخرى :

مريم الام كيف ستكون ؟ »

وتنهدت ثالثة :

ستولد من جديد . هنيئا لها ! »

∴

واحتضنتها أمام الباب ذراع زوجها .

لم يعد يطيق فراقها منذ أن علم الخبر. لقد كانت زوجته فقط. كانت كائنا آخر يشاركه العيش الاجدب ويعينه على رفع أثقال العصور. لكنها اليوم تقاسمه الكون الرحيب. كانت نصف دنياه المحدودة فاصبحت نصف الدنيا بإطلاق. كانت امرأة تحمل اسمه لاعوام قد تطول وقد تقصر. لكنها اليوم تكتب اسمه على أفق الخلود.

كيف يفارقها لحظة ودين الرجولة بين جنبيها ؟

كيف لا يحرسها وفيها مفتاح بقائه وبقائها ؟

كيف لا يعبدها وهي التي بها سيقهر الموت ويصفع الفناء ويسخر من مرور السنين ؟

قال لها :

سيكون ولدا، سأنفق عليه من تجارب دهري بلا حساب. سأدخله المدرسة كي يجول فيها جولات الغلبة والانتصار. سأشد ازره حتى يستقيم عوده. لاجعلن منه طودا عملاقا لا يشق له غبار. لاجعلن منه بطلا رحيما افتخر به فيفتخر الكون بما صنعت ! »

وقالت :

سيكون بنتا. سأرضعها الاغراء ثم ادخلها المدرسة كي تتعلم فيها اصطياد الحياة. لاجعلن منها زهرة فواحة تهز الصدور. سأكون من ورائها كي تمزق الفخاخ. لاجعلن منها ملاك الجمال والرحمة والبر. لاجعلن منها ربة في كل مكان. لابعثن فيها حواء حية تسعى ! »

واستمر كلاهما يسبق الايام. تحققت الاحلام كلها دفعة واحدة فضاق لها الصدران. وكيف لا تضيق الصدور بروعة الجمال ان رسمه الامل على جبين الحق.

*

وجاء اليوم الموعود

وغصت قاعة الانتظار بمستشفى التوليد. وساد فيها سكون دجال. وما هو في الحقيقة الا مخاض يقابل مخاضا ينتظر الجمع ختامه.

في كل نفس منهم مخاض. لصراخ المرأة فيهم صدى وامتداد.

وانزوى الزوج في ركن قصي. وانتصب على كرسيه كالصنم السكران. لو كانت أمامه مرآة لهاله ما يرى. لقد تشابكت اصابعه وارتعشت حتى لتخالها كائنات فظة منفصلة عنه.

واستوى ظهره حتى تحسبه محنطا. واصفر وجهه وتجعد حتى تحسبه من خشب قديم. لكل صرخة في كيانه رجات. لكأنه غدير يلهو على جوانبه الصبيان برمي الحصى.

وبدأ همس العجائز المجتمعات في ركن مقابل. وتسابقت الحناجر حتى تحول الهمس الى ضوضاء.

لكن الزوج لم يكن يسمع شيئا. لقد كان مشغولا بدقات قلبه يخيل إليه أن ما يحيط به صدى أبواق وان الدقات تثقب أذنيه. لولا هذه الدقات التي تدكه دكا فتعصر أحشاءه وتمتص دمه لانفجر صارخا في تلك الوجوه :

دعوها ! دعوها ! ألا تسمعون ؟ لكم أن تأكلوا لحم اخوانكم ! لن أسمح لكم بتمزيق طفلي أو بتعذيب أمه ! حرام أن تعذبوه وتعذبوها ! أبي ! قل لهم هذا ! إني وحيدك ! انك تنتظره كما انتظره ! قل لهم ! »

توالت الدقائق والساعات

واستقر نظر الزوج على عقارب ساعته. إنها عقارب رهيبة ما تنفك تكبر وتكبر حتى ليخيل إليه انها تشق عينيه وتغوص في دماغه المتعب.

وارتسمت على معصمه صورة راقصة. وبانت خطوطها وردية كالشفق. رأى صبيا عاريا متعلقا باحدى العقارب. وكبر الصبي فاصبح شابا وكبرت العقرب فأصبحت سيفا ثم رأى الشاب يرفع سيفه كي يهوي به على اعناق الثرثارين.

وفجأة

جمد السيف معلقا في الفضاء

وفتح باب داخلي دخلت منه ممرضة تمضغ "اللبان" اعلنت بصوت يشبه الصرير :

الرجاء التزام الهدوء ! لقد ولد الطفل ميتا ! »

1962

الحبيب ابراهم

اعلام الادباء وعباقرتهم بتونس

ابو الحسن حازم القرطاجني

المتوفى بتونس سنة 684 هـ

بقلم : محمد الهادي العامري

ولد حازم(*) بقرطاجنة من سواحل كورة تدمير من شرقي الاندلس سنة 608 هـ. وما كاد يبسم في روض حياته زهر الشباب حتى انبثقت أنوار ذكائه الوقاد فأضاءت له السبيل وأذكت طموحه للضلاعة والتحصيل فازداد حازم القرطاجني توغلا في المعرفة واشتعل ذكاء وازداد كدا حتى بلغ عدد أساتذته (الالف) وهو عدد خطير يبين المدى الذي بلغت إليه الثقافة الاسلامية والآداب العربية وانتشارها انتشارا عميقا في هذا الجيل ويعرب عما كان لهما من أعلام وآثار لم تقو على مصارعتها الادهار. وقد تحدثت عن حازم الدواوين التاريخية والكتب الادبية طويلا وفي طالعة من تحدث عنه القاضي عياض في أزهار الرياض، قال بعد أن نسبه إلى قرطاجنة ما نصه : هو خاتمة شعراء الاندلس الفحول مع تقدمه في معرفة لسان العرب وأخبارها. نزل افريقية بعد خروجه من بلده فصار له بها صيت إلى أن توفي بتونس سنة 684 هـ.كما تحدث عنه تلميذه العظيم أبو حيان الاندلسي المفسر الشهير المتوفي سنة 745 هـ. والحافظ ابن رشد الذي قال عن أستاذه حازم ما نصه : حبر البلغاء وبحر الادباء ذو اختيارات فائقة لانعلم أحدا مما لقيناه جمع ما جمع من علم اللسان ولا أحكم ما أحكم من معاقد البيان.

وقال عنه السيوطي في الطبقات حازم شيخ البلاغة والآداب وتحدث عنه العبدري فأطال وحلاه بكل رائعة من المقال..

وقال عنه مؤرخو اللغة والآداب : إنه خاتمة الشعراء وعلماء اللغة في هذا الباب.

ولضلاعته اصطفته الدولة الموحدية فكان منتظما في سمط شعراء أحد خلفائهم وهو الرشيد من أحفاد عبد المؤمن بن علي فأعاد للادب العربي سوقه النافقة التي كانت بدار السلام على عهد الرشيد ومجده التليد ولم يزل

* مقال من كتاب تونس في مواكب الحضارات والعصور (مخطوط)

مقيما بمراكش إلى أن تصدع صرح الدولة الموحدية وأخذت تتضاءل منها الانوار مؤذنة بالاحتجاب وما عتمت أن بزغت تتألق بتونس على عهد الامير أبي زكرياء الحفصي مجدد ذلك المجد وابنه الامير الأديب الشهير أبي عبدالله محمد المستنصر. فكان ذلك من دواعي رحلة حازم إلى العاصمة التونسية والوفود على الامامة الحفصية فتلقته الدولة بجميل الوفادة والاكرام شأنها مع الادباء الاعلام وعرفت له حقه فأناطت بعهدته التدريس بتونس وتعقب التآليف التونسية وتعهدها بالنقد والتمحيص حسب قواعد ونظم متبعة في ذلك العهد وقد حدثنا الاستاذ المدرس المؤلف أبو جعفر الفهري التونسي عن هذا الترتيب الجاري به العمل في الطور الاول من حياة الدولة الحفصية بتونس وبيان ذلك أن الاستاذ الفهري ألف شرحا لكتاب الجمل للزجاجي ولما أتمه قدم نسخة منه لخزانة الدولة الحفصية بتونس فصدر امر المستنصر بالله الحفصي باحالة نسخة الكتاب على حازم لتعقبه ونقده جريا على العادة المتبعة في ذلك فذهب أبو جعفر الفهري إلى منزل حازم بتونس وطلب المثول بين يديه ولما أذن له بالدخول، قال الفهري المؤلف : وجدت كتابي بين يدي حازم فقلت له، يا أبا الحسن : قال الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة. فأجابني حازم على البديهة بقوله : يا فقيه، يا أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن... هذا أمر الملك، لايمكن فيه إلا قول الحق، والعلم لايحتمل المداهنة فقلت له : أطلعني على مواقع الخلل. فقال أما هذا فنعم. وأظهر لي مواقع سلمتها وبشرتها وأصلحتها بيدي....

وهكذا كان حازم علما من أعلام النقد الادبي يشار إليه بالبنان بتونس في ذلك الاوان الذي ازدهرت فيه العلوم والآداب بهذه البلاد. ولما ألف النحوي ابن عصفور كتاب المقرب في النحو ألف حازم برسم ذلك الكتاب ردا أسماه الزيار على جحفلة الحمار. وعمر حازم بتونس إلى أن توفي بها ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان المعظم سنة 684 هـ. ولحازم تآليف عديدة رائقة منها سراج البلغاء(1) في البلاغة وكتاب القوافي ومنظومة في النحو بديعة رائعة تخطى فيها أساليب النحاة ونظمهم وابرزها في قالب جذاب قال أبوحيان أثير الدين : أنشدنا حازم المذكور من قصيده في النحو :

الحمد لله معلي قدر من علما	وجاعل العقل في سبل الهدى علما
ثم الصلاة على الهادي لسنته	محمد خير مبعوث به اعتصما

(1) هذا الكتاب موجود بالمكتبة الاحمدية بجامع الزيتونة.

ثم الدعا لامير المؤمنين أبي ... عبد الاله الذي فاق الحيا كرما
خليفة خلفت أنوار غرته ... شمس الضحى ونداه يخلف الديما
سالت فواضله للمقتفي نعما ... صالت نواصله بالمعتدي نقما

ومنها :

يا أيها الملكُ المنصور ملكك قد ... شب الزمان به بعدما هرما
فلو رأى من مضى أدنى مكارمكم ... لم يذكروا بالندى معنا ولا هرما
ان الليالي والايام مذ خدمت ... بالسعد ملكك أضحت أعبدا واما

ومنها :

اما على اثر حمد الله ثم على ... اثر الصلاة على من بلغ الحكما
وما تلاذاك من وصل الدعاء ومن ... نشر الثناء على من أسبغ النعما
فاسمع لنظم بديع قد هدت فكري ... له سعادة ملك أجزل القسما
حديقة تبهج الاحداق ان سطرت ... من نحوها ناسم للنحو قد نسما
فاسمع إلى القول في طرق الكلام وما ... علم اللسان به قد حد أوْ رُسما
النحو علم بأحكام الكلام وما ... من التغاير يعدو اللفظ والكلما
وللكلام كمال في حقيقته ... فان ترد حده فاسمعه منتظما
ان الكلام هو القول الذي حصلت ... به الافادة لما تم والتأما

إلى آخر القصيد النحوي الذي يسيل عذوبة ويشوق طالب النحو لحفظ قواعده.

« أدب حازم القرطاجني »

يعد الادباء حازما من أفذاذ شعراء العربية وكتابها على الاطلاق في هذا الطور من أطوار الادب وقد كان أسلوبه في الكتابة شبيها بأساليب الكتابة في القرن الثاني والثالث للهجرة. ولولا تأثره بما تأثر به غيره من كتاب هذا العهد بالزخرفة اللفظية والتهافت على ذلك في التعلق بالجناس والمقابلة والتورية وغير ذلك من أفانين البديع لكان نسيج وحده في عصره.

وبالرغم عن ذلك فان ميزة الكتابة العربية في اسلوبها القديم هي أظهر شيء في تحبيره حتى لا يكاد الباحث يفرق بين كتائبه وكتائب القرون الاولى إلا بالامعان وشدة الدرس لان تأثره بالصناعة البديعية كان كالملح للطعام

كما يقولون : فجاء تحريره ناصع الديباجة حافلا بالمعاني سالما من الكلفة بريئا من التصنع متماسكا حصيفا واضح المعالم فلا تعقيد يشينه ولا تقعر يدهنه ولا عسلطة تطمس جمال قالبه وتطغى على روحه بل كان شاعرا في نثره وإليكم ما يقوله في ملك عصره المستنصر الحفصي :

ملك جُمِعَ له العلمُ والعمل وطلع على الايام طلوعَ الشمس في الحمل فقام به وزن الزمان واعتدلْ أشرقت إشراق الصباح فضائله وتدفقت تدفق السحب أنامله وانقسمت بين نفع العفاة وضر العداة شمائله ووسعت أرباب النُّهى وطلاب اللُّهَى نوافله فظفر بما أمله من الفوائد سائله وتقبلت بذلك عند الله وسائله ملك تحلى من كريم الخلال وعظيم الجلال ما تحلى فعاد به في أفق الخلافة نورها وتجلى إلخ.

وليس هنا محل الغرابة في بيانه العذب الفياض بل انه لبراعته وتلاعبه بالبلاغة ومهارته يمزج النثر الرائع البديع بالغض من أزهار شعره التي دونها زهرات الروض في زمن الربيع. فتخال أن عقد دُرّ قد تبدد وانتشر ثم عاد فاتسق حُلاه وتألق محياه فيروعك جماله الفاتن في حاليه عندما تصغى إليه :

فالعِلْمُ مِنْ جَنَانِهْ وَالرِّزْقُ مِنْ بَنَانِهْ
والصُّبْحُ مِنْ سَنَاهُ والشَّمْسُ مِنْ عِيَانِهْ
والبَرْقُ مِنْ ظُبَاهُ والرِّيحُ فِي عِنَانِهْ
وَالزَّهْرُ مِنْ حُلاَهُ والزَّهْرُ مِنْ بَيَانِهْ
مَاءُ النَّدَى مَعِينُ يَفِيضُ فِي مَعَانِهْ
وكُلّ نَجْمِ سَعْدِ قَدْ لاَحَ فِي أَوَانِهْ
فَالدَّهْرُ لَيْسَ فِيهِ أَسْعَدُ مِنْ زَمَانِهْ
والارضُ لَيْسَ فِيهَا أَخْصَبُ مِنْ مَكَانِهْ

وهكذا أحرز حازم قصب السبق في التفنن والمقدرة مع براعة في الوصف وعذوبة في البيان شأن الموهُوبين المُلْهَمِينَ.

فأي فؤاد لايخفق وأي روح لاتهفو وأي طبع لاينتشي وأي عاطفة في الانسان لاتتحرك إذا فوجئتْ بقول حازم.

أدر المدامةَ فالنسيم مؤرج والروض مرقوم البرود مُدَبَّجُ
والارض قد لبست برود جمالها فكأنَّما هي كاعب تَتَبَرَّجُ

والنهر لما ارتاح معطفه إلى لقيا النسيم عُبابُه متموّج
يمسي الاصيلُ بعسجدي شعاعِه أبدا يوشي صفحه ويدبجُ
الخ .

ومن مقدرة حازم الادبية النادرة التي امتاز بها مجاراة امرىء القيس حامل راية الشعراء ومفخرتهم على اختلاف العصور. فقد تمكن حازم من منازعة امرىء القيس في معلقته وتصحيح معانيه المستهجنة ناقلا اياها من السُخف إلى الحصافة ومن الهزل إلى الجد ومن العبث إلى الحقيقة في أسلوب لايتنافر مع أساليب الشعر الجاهلي ولا يبعد عنه في الطبقة وهي محاولة على ما فيها من دقة وصعوبة فقد نجح فيها حازم سواء من الناحية اللغوية أو المعاني والتراكيب فتعجب حقا كيف يمتزج الادبان. الادبُ الجاهلي في خشونته والادب العربيُ في القرن السادس للهجرة في زخرفته ورقته وتنميقه ومرونته ولضيق المجال نستعرض شيئا ما من تصديرات حازم لابيات معلقة امرىء القيس.

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضه قد طالما طاب نشرها لما نسجتها من جنوب وشمال

ثم يأخذ في اقتفاء الاسلوب الجاهلي شيئا فشيئا مصححا للمعاني في الغرض الذي يريد :

وأثوابك أخلع محرما ومصدقا لدى الستر الا لبسةَ المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعي لبعدها على النحرحتى بل فدمعي محملي

ولحازم قصيد مطلعه :

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكها أبكتْ أسى أم قطعت أسلاكها

وقد عارضه التيجاني بقوله :

يا ساحر الالحاظ يا فتاكها فتيا جواز الصدّ منْ أفتاكها

والحق أن آثار حازم الادبية زاخرة لاحد نقف عنده ولكن ما لا يدرك كله لايترك جله كما يقولون.

محمد الهادى العامرى

نظرات في الشعر التونسي المعاصر

بقلم : محمد الحليوي

- 3 -

العطف على الطبقات الكادحة

لعل انبل موضوعات مَا يمكن ان نسميه "بالشعر الاجتماعي" هاته القصائد التي يتحدث فيها الشعراء عن حياة المستضعفين من الناس، وجهاد الطبقات الكادحة لاجل العيش ولاجل "العدالة الاجتماعية" في مجتمع غلب على افراده التكالبُ على المال، والقسوة في سبيل تحصيله — لقد كان وما يزال في الناس طبقات تعيش على هامش المجتمع، وتقتات مما يتساقط من موائد الاغنياء ولولا أن الشرائع السماوية والقوانين الاخلاقية قد عطفت على هاته الطبقات وجعلت مواساتها والاحسانَ اليها من أوكد الواجبات، ولولا أنّ الشعراء في كل امة قد لفتوا الانظار الى حالة هؤلاء البائسين "المعذبين في الارض" ووصفوا عيشهم الضنك في مختلف صوره، واستدرّوا الرحمة لهم، والعطف عليهم لظلوا كميّة مهملة تعاني الفاقة وشظف العيش ولا تجد لها منه مخرجا.

ونحن متى تصفحنا الشعر التونسي الحديث وجدناه يُولي اهتمامه هاته الناحية ويدل على وعي اجتماعي منذ اوائل النهضة الادبية — فقد تحدث شعراؤنا عن اليتامى والمشردين، وعن الشحاذين بكل طريق، والذين اصيبوا بالامراض الوبيلة ولم يجدوا من يسعفهم بالعلاج، وعن ساكني الاكواخ، وعن عبيد الارض الذين نسميهم "الفلاحين" وعن العمال الكادحين الذين يستغل الاقوياء جهودهم ويبتنون على كواهلهم الثروات الضخمة، وعن البغايا اللاتي جنى عليهن المجتمع ثم طرحهن نُفاية في الطريق. وسوف نتعرض الى كل هاته الاصْناف ونورد نماذج من أحسن ما قيل في وصف عيشها والمطالبة بانصافها وتحسين حالها والاهتمام بقضيتها.

اما اليتامى فقد تحدث عنهم سعيد أبو بكر في قصائد متعددة نذكر منها قصيد "حياة اليتيم" الذي قص فيه قصة قوم كانوا في مجلس أنس ناعمين.

وقد زيَّنوا مجلسَهم باطايب الزهور، ودارت عليهم كؤوس الشراب وهم بين هازج ومُغنٍّ ومُحدث للضجيج. والتفتَ الشاعر دونَ قصد الى الجهة المقابلة فلاحَ له شبح كلما ذكرَه يكاد ينفطر فؤاده ذلك الشبح هو :

طفلٌ صغير يكاد البُؤس يقتُلُه ... يُدمي القلوبَ ويُدمي قَبلها المهجَا
أعضاوه، في انتفاض وهو يسترُهَا ... بالبعض بعضا. فوا اثما وَوَاحَرَجَا
يَحميه ثوب ولكنْ انتَ تعرفه ... كالعنكبوت بخيط واحد نسجَا
حتى اذا لم يصل للسَّاق من قصر ... غطَّى بكلتيْ يَديْهِ السَّاق وانثلَجا..

كان هذا الطفل يطوف الابواب بابا بابا فلم يظفر بشيء وحين رأى القوم المحتفلين، مشى نحوهم الهُوينَا، وهو يخشى التعثر في كل خطوة وكان يحمل في كفه قطعة خبز ربما عجزت المطارق عن تفتيتها — جاء الفتى واقترب من القوم مُبديا لهم حاجته وجوعَه ولكنهم قابلوه بازدراء وأطردوه طردَ الكلاب. فتأثر الشاعر لهذا المنظر الذي كان يشهده من قريب واراد أن يتداخَل في القضية. ونادى الطفل..

"ناديتُه فانثنى كفكفتُ دمعته ... حتَّى كاني مَسحتُ الجرُحَ والضمجا *
«واشتدَّ صوتي وقد حولت نحوهم ... قولي وابرقت اذ اسمعتهم هزَجَا»
«هذا اخوكم وهذا بعض طينتكم ... مما امتُزجتم به ياناس قد مزُجا»
«هَذا يَتيم فقير بائس نكد ... من جوعه يَشتهي لو بطنُه بُعجَا»
«هذا الى الشعب في اعماله عَضُد ... بل خنجر للدواهي يقطَع الوَدَجَا»
«هذا شعَارُ غد. هذا دلائلهُ ... قدضم عن سعْده اونحسه حُججَا(1»

وهكذا أخذ يلوم الجماعة ويُؤنبهم ويُقنعهم بأنَّ امثال هذا البائس سوف يبقَى حجر عثرة في سبيل نهوضنَا. وانه لمن العار أن يظل امثاله في الامة دون أن نفكر في وسيلة لانقاذهم ورفع الجهل عنهمْ وتنتهي القصة برجوع القوم عن غيهم وتنهالُ منهم العطايا على الطفل المسكين مما جعله يُسَرّ ويندمج معهم.

ولسعيد أبي بكر قصيد آخر بعنوان "اليتيم" وفيه يتحدث عن طفل قضي عليه أن يظل محروما من الهناء — بسبب يتمه — وان ينشأ مهْمَلا كالنبتة التي تنشأ يانعة لكنهَا سرعان ما تُحرمُ الري والعناية فتذْبُل وتتلاشى. هو يتيم :

---

* الضمَجُ وضعُ البلسم على الجرُح.

«امطرته السماء حزنا كما امطرت الارض وابلا مسموما»
«والدواهي بقوسها رجمته فاغتدى حائرا. بها مرجوما»
«يضع الجسم في التراب ومن جوع يرى الجسم ناقصا مهدوما»
«يضع الكف حاجزا بين قلب وسهام تصيبه مكلوما»
«فيلاقي زفير نار تلظت وهي تكوي فؤاده المهموما»
«ياسماء ارفعيه ! ايتها الارض ابلعيه عسى يكون سليما»

ويختم الشاعر قصيده محرضا على مديد المساعدة لليتيم :

«ها يدي تحمل اليتيم لتبُدّ به أسيفا وبائسا ويتيما»
«انلاقي سرورنا بسرور ويلاقي ببؤسه التحطيما»
«انذوق الزلال في كاس بلور وذاك الفتى يذوق حميما»
«فمتى يا ترى التفتنا اليه وأزلنا مصابه والهموما (2)»

ومن هذا القبيل قصيده "ليلة في اصطبل" تحدث فيه عن يتيم راح يبحث عن مأوى يؤويه في ليلة من ليالي الشتاء لمعت بروقها وقصفت رعودها وكست الارض ثلوجها واضحى ريحها يلسع الوجوه — وحين اعياه البحث والمسير قصد الى زقاق تعوّد أن ينزوي فيه وكسّر بابا من الابواب هناك ودخل ثم استسلم الى النوم الذي كان في أشدّ الحاجة اليه فهو يريحه من تعب الطواف وينسيه همومه. وحين طلع الصباح ادار طرفه في ذلك المكان الذى قضى فيه ليلته فإذا هو اصطبل حيوانات. وحبّذا هذا المكان منزلاً لبائس مثله.

«فيه الوفاق مخيّم فيه الصداقة والصفا»
«فيه الحنوّ وفيه آيات المحبة والوفا»
«هوّ المكانُ تطهّرا»
«هي الوحوش تعاظمت ؛ عن كل مكر اوجفا»
«لا الشاةيلقاها البعيرُ ضعيفة فيكيدُ وسهَا»
«كلا ولا يلقى التملق لازما فيبوسها (3)»

وللمرحوم الفائز القيرواني موشح لطيف بعنوان "اليتيم" وصف فيه حالة عامل مريض واسرته في بيت خيم البؤس على ارجائه وعجز فيه المسكين على التخلص من بلوائه ثم يموت الرّجل ويخلفُ بنيه :

دونَ أن يتـرك لهم مـالا :

وقضى المسكينُ من بعد ليـالْ ذاق في أثنائهـا مُرَّ العَـذابْ
ومضى للقبر في أسـوا حـالْ لم يُـودَّعْـه سوى بعض الصحابْ
ليتَ شعـري من لهاتيك العيالْ حينمـا قد وسدوه في التـرابْ

∴

لم يخلفْ لبنيـه درهمـا لا ولـم يتـرك لهم الا الـديون
خـرجـوا بين الثنايا كالدّمى (1) لاكتسـاب العيش طرا يعملـون
ودّعَ الاكبرُ منهم مكتبَـهْ ومضَى يعمل في كـل طريـق
كـان بالامـس ويـا مـا أنجبـه سائـرا للدّرس في ثـوب أنيق
مَنْ لتلك الزهـرة الفيحـاء من ويدُ الاملاق فيها تعمـل
سقطت خضـراء من فوق الفنَنْ بعدما غنَّى عليهـا البلبـل

وينتهي الموشح بالتحريض على البذل لتأسيس المشروعات الخيرية التي تتكفَّـل بايـواء اليتـامى وحفظهم من الفاقة وسوء المصيـر.

ولا شك أن مثل هذا الشعر الهادف قد أعـان على ايقاظ الشعور وكـان لـه أحسن الاثـر في ما أسس من ملاجىء ومدارس لايـواء اليتامى والمشرديـن وللشابي قصيد من أوائل اشعاره بعنوان "شكوى اليتيم" تناول فيـه موضوع اليتيم أيضا ولكن على طريقتـه هو — فلم ينظمه لتحريض القوم على البذل والعطـاء او ليستمد بـه العطف بل اظهر فيـه اليتيم الذي حرم العطف من الناس مجفُـوا من الطبيعـة نفسهـا.

لقد ذهب اليتيم الى ساحل البحر واسمعه زفرات مُهجته التي اترعـت بدمع الشقـاء ولكن زفراتـه الحرى ضاعت في ضجَّـة البحـر — ثم ذهـب الى الغـاب وسكب اوجاع قلبـه نحيبـا مُحْـرقـا ولكن الغـاب لـم يفهم اشجـانـه... ويظـل يـردد الحـانـه واخيـرا وقف على النهـر بـاكيـا بدمـع يسيل على وجنتيـه وكـانـه من دمـوع الجحيم — كما يقـول — ولـكن النهـر لم يكترث لـه وظـل يعدو شـاديـا مترنمـا بأهـازيجـه — وفي كل مرة يـلاقي جمـود الطبيعـة يصيـح مناديـا أمـه قـائـلا

"أيـا ام هيَّـا اليّ فقد سئمتني الحيـاة"

ولكن نداءه يظل بدون جواب فيكتفي في آخر الامر بلوعته ويعتصم بالصمت :

ولما ندبت ولم ينفع   وناديت أمي فلم تسمع
رجعت بحزني الى وحدتي   ورددت نوحي على مسمعي
وعانقت في وحدتي لوعتي   وقلت لنفسي ألا فاسكتي (5)

وهناك طبقة اخرى من الطبقات الكادحة وهي طبقة الفلاحين او عبيد الارض، كما يسميها بعضهم.

والشعراء — اذا تحدثوا عن الفلاح او العامل الفلاحي صوروه رجلا يعمل من الفجر الى المساء مكبا على ارض عراء يفلحها ويعالجها ليستخرج منها خيراتها لا ليُطعمها اهله وابناءه بل ليجنى ثمرة كده الاغنياء واصحاب الارض مقابل قوت زهيد خشن لا يُسمن ولا يغني من جوع، ومقابل خرق بالية لاتقي جلده حرّ الصيف ولا قرّ الشتاء

يقول منور صمادح في قصيد "عيد الشعوب"

العامل الفلاح يزرع ثم يحصد آملا أن يمنحوه نوالا
فيظل يكدح جاهدا بالعزم يخصبها سهولا كزّة وتلالا
ويثير في الارض الرؤوم حنانها فتجود إكراما له وجلالا
لكنه يجني الثمار لغيره — ويعيش في شغب... يموت هزالا
عجبا يجوع بارضنا خدامها : كي يُطعموا المحتال والمكسالا (6)

ويقول احمد اللغماني في قصيد "الفلاح"

من جدا كفك يحسو الاغنياءْ   يا اخا المحنة يا إلف الشقاءْ
ذلك الساعد كم اوهنه   نَصَبُ المحراث في الارض العراء
تسبق الفجر الى الحقل وتستقبل النجم به عند المساءْ
تبرح الكوخ على مسغبة   كي ترى غيرك موفورَ الغذاءْ
لا تقي جلدك الا خرق   في سعير الصيف او قُر الشتاءْ

غير انه وان كان جائع البطن، باليَ الثوب، واهنَ العظم، فهو صاحبُ اباء وشمم، يُقبِلُ على العيش، ونفسُه مملوءة املا ورجاء ويمضي في عمله ثابتا كالطود، لا يثني عزْمَه وثباته لا عنتُ الدهر،

ولا قَسْوةُ القدر – وهو مع ذلك طيب النفس طاهرُ الضمير لا يعرف الخبث والمكرُ الى نفسه سبيلا. يكتفي بالقليل من الزاد قناعة ويُقبل على عبادة ربه تدينا :

يغتدي والعَظمُ منه واهن	بيد أنّ القلب مَوْفورُ الابَاءْ
خَلَف لمْحٍ من امَانٍ شرّدٍ	وسَرابٍ منْ طُموحٍ ورجَاءْ
ثابت كالطود ما زَعْزَعَه	عَبَثُ الدّهرِ ولا سُخْطُ القضَاءْ
يَقْبَلُ العَيْش بقلب آملٍ	بيدَ أنّ العيش هَمّ وبَلاءْ
مُهْجَة طهّرَهَا اللهُ فَلا	شابها يوما نُزُوعُ الجُبَنَاءْ
عَابِد في كوخه مبتهل	مُسْتَهَام لانقَاقا ورِيَاءْ
يكتفي بالنّزْر في عيشته	فَلَدَيْه الوَجْدُ والفقرُ سَواءْ
يأكلُ الكِسْرة من ساعده	ثَمَرَةَ الكدّ وانتَاج العنَاءْ

ثم لا يلبث الشاعر أن يقارن هذا الفلاح بساكن المدينة فيُفضله عليه:

فكم من أغنياء لا يتورعون عن اكتساب المال من طرق الخنا وكم من علماء اصحاب نزغات باعُوا دينهم لاجل الدنيا. اما هو فقد ورث العفة عن آبائه واجداده، وغذي في لبان الام نُبْلا وحياء. وهو حافظ للعهد وفي يبذل النفس في سبيل الوفاء بعهده، وهو عظيم الانفة والكبرياء يمقت الظلم ولا يعنو لظالم. ان ثار كانت ثورته نقمة عاتية وان لان فهو لطيف مُسالم. وهو على كل حال أبيّ النّفس شجاع

لا تقولوا مُعْدم ذو فَاقة	ربّ مَال نَبْعُهُ دُورالخَنَاءْ
لاتقولوا مُعْدم فهو غلى	فقره قد عال اربابَ الثراءْ
جاهل لكنه ذُو شرف	لم يُلَقّنْ نَزَغَات العلمَاءْ
ورث العِفّة عن آبَائِه	وغذته الامّ نُبْلا وحَيَاءْ
يحْفظ العَهْد ويَفْديه ولو	كان بَذْلُ الدّم والرّوح الفداءْ
يَمقتُ الجَوْرَ ولا يعنُو لهُ	شامخ الانْف عظِيمُ الكبرياءْ
فاذا لان فذُو لطف وانْ	ثَارَ فالنقمة او سهم القضاء (7)

ونظرة مصطفى الحبيب بحري الى الفلاح تغايرُ نظرة اللغماني فهو يتحدث عن الفلاحين حديثَ من يرجو اصلاح حالهم بتصويرهم

ضحايا من ضحايا المجتمع، مُستسْلمين الى مُضطهديهم. وقد جعلهم في قصيده "عبيد الارض" يصفون حالتهم البائسة) مُخاطبين سادتهم قائلين:

عذّبُوا ارواحَنَا فالعدلُ أن لا ترحَمُونَا
واملأوا اكوابَنَا وَيْلاً وَهَمّاً وَشجُونَا
مَا خُلقْنَا كي نَرَى الافْرَاحَ بَل ذُلاً وَهُونَا
وعذَابَاً لن يَلينَا
وقِّعُوا السَّوْطَ عَلى أجْسَامِنَا أوْ تُهْلِكُونَا
انه لحن شجيّ... فاقَ فِي الوَقْع الحُونا
هَلْ سَكِرْتُمْ مِنْ صَدَاهُ العَذْب يَهْديكم فُنونا
أنْ تكونُوا نَاعِمِينَا

لكن غرض الشاعر يظهر من هذا الوصف الاقتم فهو يغرق في بيان حياة العبودية التي يعيشُهَا الفلاح وقصده أن يبعث فيه روح الثورة على وضعه الذّليل المُزْري:

نحن فِي الارْض دَوَاب لا تَرَى الرّاحَةَ حِينَا
نَخْدمُ الارْضَ ونَجْني الويل زَهْراً وغُصُونا
هكذا الاقدارُ شاءت حكمت بالعدل فينا
هكذا شاءت وشينا
نَكدحُ العُمْرَ... ولا نَجْنِي سوى ما تملكونَا
مَا لنا الا صخُورُ الخبْز يَطْحَنَّ البُطُونَا
أوقليل من مياه الطين... او طِمْرٍ مَهِينَا
بالبلايا قد رضينا (8)

ومعنى قوله "هكذا شئنا" وقوله "بالبلايا قد رضينا" يرادف القول لو شئتم التحرر والخروج من طور العبودية لتغير حالكم وهي طريقة غير مباشرة للدعوة للثورة وتكسير القيود.

اما محمد العربي صمادح فيُرْجع بؤس فلاحه لا لفقدان العدالة الاجتماعية بل لتآمر بعض الاقوياء عليه وعدوان الايدي السوداء على ارضه حتى اذا حاول استرجاع ما سلب منه بالقوة كان مآله

السجن أو التجريد بحكم العدالة او ما تواضع الناس على تسميته بالعدالة.

ففي قصيد "ساكن الكوخ" يسأل الطفل أباه الفلاح : لماذا كانت الارض سهولها وربها تفيض بالخيرات، ولماذا كانت الاودية والسيول تتدفق بالارزاق وهم عُراة جياع. هل ذلك لانّ الله غضب عليهم فحقّت عليهم اللعنة الأبدية ؟

يا بالنا عُرْيٌ جِيَاع فِي الورى يا والدي ؟
نَأوي الى كوخ حقير في الشتاء البَارد
هل ذلك الربّ المقدّس غاضب ابدا علينا
فتطايرت رَحَمَاتُه من حولنا... ماذا جَنَيْنَا ؟
ورغَا من الجوع الشديد بِكوخِه ودعا أبَاه

فاستيقظ الحقد الدّفينُ في صدر الاب وتذكر حقْله الخصيب المغتصب وشياهه الحلوب، ومُلتقى اصحابه عند السَّمر وتراقصت في ذهنه صور ماضيه البعيد حين كان صاحب الحقل وحين كان عزيزا مكرّما فمضى كالثورة العمياء لا يلوي على شيء وانقض كالمعتوه يسترد ارضه وأرض أجداده مغيرا ثائرا. لكن العدالة التي تحمي المغْتصبين الاقوياء زجت به في السجن وقدمته للمحاكمة :

وهناك قال له غبيّ بالعدالة يَحْكُمُ
لم لا تُقَضي العُمْرَ تَشْحَذُ فِي الورَى يَا مُجْرِم
مثلَ العجائز والطفولة والشيوخ الطيبينْ
لم لا تُقَضي العُمْرَ تَشْحَذُ آمِنا كالاخرينْ..(9)

ونرجع الى مصطفى الحبيب بحرى في قصيد "رماد وجوع" الذي وصف فيه امرأة لااخالها الا فلاحة فقدت زوجَهَا وسلبت ارضَها فجاءت تعيش – بين القصور – في كوخ حقير. كان الليل مخيما وكان الاطفال مُمَدّدين فَوْقَ الحصير بسبب الجوع والسّقام – وكانت الامّ تُعللهم بِقِدْرٍ قد وضعته فوق بقايا الرّماد وليس في القدر الا الماء وليس في الكوخ الا الجوع والسقام.

بقـايا رمـادْ
وأنـاتُ مَرْضَى بليـل السّهَـادْ
وأمّ تُصلي لـربّ الطّعَـامْ
ليُنْقِـذَهم من الـه الحِمَـامْ
دمُـوع... وأشلاءُ كـوخٍ حَقِيرْ
وولـولـةُ الصبْيَـة الجَـائِعِينْ
وَقـدْ مَـدّدَتْـهم أكفّ شِـدَادْ
من السُّقم والجُـوع فَـوقَ الحَصِيرْ
ومـا زالت القِـدر فـوق الـرّمَـادْ
رَمَـاد وَمَـاء وَقِـدْر وَجُـوعْ
ونـور يغُـورُ بِـكهْفِ العُيُـونْ
فتُـوقِظُـهُ لسَعَـاتُ البُطُـونْ
ويَسْتَصْـرخُ الصبيـةُ الجَائعـونْ
ويَسْتَرْحِمُـونْ،
امـا حَضَـر الاكـلُ يَـا أمَّنَـا ؟

وكـانت أمُّهم "سُلَيْمَة" تنظر في ذلك الظلام فترى النور حولها يُضِيء القصور فـلا تـدري لماذا هذا التفـاوت في العيش ولا تلبث أن تستسلم لتدبير القـدر :

قصور ونُـور... وكـوخ حَقِير
نعيـم هنـاك... وبُـؤس هُنَـا
لهـم مَا يشَـاءون... ذُلّ لنَـا
كـذلك شـاء إلـهُ الـوُجُودْ
فمنهم ملـوك ومنّـا عَبِيدْ... (10)

وينقضي الليـل كلـه وينـام الصغـار وما يزال فيهم الحنينُ للطعـام

ثم يشع النهار ولكن القدْر ما تزال فوق الرماد وليس في القدر الا المـاء وليس في الكوخ الا الجـوع.

وهذا موضوع مطروق ولكن الشاعر افلح في تكوين جوّ عاطفي لطيف بواسطة بعض كلمـات ايحـائية تبعث في النفس أصداء عميقة.

على ان شعراءنا لم يكتفوا بوصف حالة بعض الطبقات المستضعفة ليبعثوا من خلال هذا الوصف الإهتمام بهم والعطف على مشاكلهم والعمل على انصافهم بل عمدوا بطريقة مباشرة الى استدرار العطف عليهم والدعوة لمد يد المساعدة اليهم كما جاء في هذه الابيات لجلال الدين النقاش

ايهـا الموسر رفقا بالفقير فللصخر عيون تَدْمَـــعُ
ولتعطف منك قلبا عن اخي شظف لاواهُ فقر مدقع
انّ للايام حُكما عـادلا وردا الإثرا وشيكا ينزع
والفتى يحييه ما أثمـــره من بُرور وجميل يصنع

وهي ابيات لا تخلو من تكلف خصوصا وقد ارتكب الشـاعر فيها ضرورتين متجاورتين وهما قصر الممدود في مكان واحد مع انّ الإستعـارة التي حرص عليها ليست من التعبير المبتكر.

ومن هذا القبيل ما جاء في قول كاتب هاته السطور وقد تراءت له آلام البشر ذات ليلـة :

ياليل يا ابن الهول، حَدّثْ بالحديث المُحْـــزِن ؟
كم فيك والهة رماها الدهر، كم من مُثْخَــــن ؟
كم من غريب الـدّار بل كم من مُعَنَّى مُـوهَن ؟
لا تسمع الشاكي ولا البـاكي ولا منْ يسمـــع
فبنـوا السعادة نـائمـــون
او في المباهج ينعمـــون
ياليلُ حدّث عن جياع كيف باتوا ليلهـــم
وعن العـراة بزَمْهَـريرك في شتائك ـ ويلهـم

وعن الارامل والايامى كيف غَيَّر حالهم
صرف القضاء... ومن تهدم كوخهم
وعن اليتامى البائسين
اني لمصرعهم حزين (11)

محمد الحليوى

مراجع القصائد

1) حياة اليتيم لسعيد ابي بكر ديوان السعيديات ص 52
2) اليتيم لسعيد ابي بكر ديوان السعيديات ص 67
3) ليلة في اصطبل لسعيد ابي بكر ديوان السعيديات ص 93
4) اليتيم لمحمد الفائز – مجلة الثريا السنة الاولى العدد 8 ص 35
5) اليتيم لابي القاسم الشابي الادب التونسي في القرن 14 المجلد الاول ص 209
6) عيد الشعوب لمنور صمادح الفكر السنة الثانية العدد الاول ص 42
7) الفلاح لاحمد اللغماني – جريدة الاسبوع نوفمبر 1949
8) عبيد الارض لمصطفى الحبيب بحري الفكر السنة الاولى العدد الثامن
9) ساكن الكوخ لمحمد العربي صمادح الندوة السنة الثانية ص 36
10) رماد وجوع لمصطفى الحبيب بحري الفكر السنة الاولى العدد الرابع ص 42
11) خواطر المساء لمحمد الحليوي في قصائد الاغاثة الوطنية 1941 وفيها جملة من القصائد لاغلب الشعراء التونسيين في موضوع العطف على البائسين وانظر ايضا في هذا الموضوع فجائع اليتامى والبائسين للمرحوم صالح سويسي القيرواني.

مكسرو الحجر

بقلم : فريدناند فون صان
ترجمة أبو العيد دودو

فرديناند فون صار شاعر وكاتب نمساوى ولد سنة 1822 بمدينة فيينا وتوفى عام 1902 وقد كتب الشاعر عدة مسرحيات تاريخية ولكنها لم تلاق نجاحا كبيرا كما كان يتوقع لها أما الذى دفع فرديناند الى مصاف الشعراء الكبار فهو شعره الغنائى الجميل وأشهر مجموعة له هى « مراثى فيينا » ثم قصصه الرائعة لا سيما « أقاصيص من النمسا » وقد اتبع فيها أسلوب الكاتب الروسى ترجنييف وأغلب هذه القصص يمت الى حياة الشاعر بسبب قريب او بعيد .

وهذه القصة التى قدمنا قسما منها فى العدد الاول من هذه السنة تعتبر من أروع قصص الانسانية .

وقراؤنا الكرام يذكرون جيدا أن الكاتب عند تقديمه لقصته بين أن قصده هو التاكيد بأن « اللذة والالم يحركان كل قلب بشرى وأن مأساة العالم الكبرى تحدث بيننا فى كل مكان » فاحداث القصة لا تتعلق بعظيم من العظماء دوخ العالم وأثر فيه بل هى مسرحها مقاطع الحجر وأبطالها العملة الكادحين .

وصل هوبر العامل المهدود القوى من أثر حمى أصابته وهو فى الجندية الى الكوخ رقم سبعة حيث وجد « ترتشكا » تخيط سترة وسألها عن المسؤول عن مقاطع الحجر هذه ولما رآه عند العودة من السوق رأى فيه القلب المتحجر والسلوك المتنافى مع أبسط الاحاسيس البشرية . فسكت لذلك وصمم على البقاء ونام ليلته تلك . وفى الصباح نهض للعمل أى تكسير الحجر مع ترتشكا وأثناء الشغل وقع التعارف بينه وبينها فأعلمته أن المشرف هو زوج أمها وانه يستغلها الى حد بعيد ولا يتركها تمضى لحال سبيلها بخلا منه وشحا وهكذا وقع التعارف بينه وبينها وفى الطريق بعد الرجوع من العمل تحادثا وتعاطفا .

ووصلا الى الكوخ.. كان الآخرون جالسين، يأكلون في صحيفات تلفه، حول الموقد، وقد وقف المشرف قربه، وشمر اكمامه وارتدى واقية. كان في تلك اللحظة مشغولا بتقطيع لحمة كبيرة مقلية. استقبلت الداخلين رائحتها الشهية، ودفعت جورج الى أن يتنفس الصعداء لا ارادياً. وكان الآخرون بدورهم قد علقوا عيونهم بقطعة اللحم الدسمة، وبدأوا يتناولون قطعة منها على التوالي ويلتقفونها قبل ان تستقر في الكف. وكان البعض يضع ثمنها قبل تناولها دون تردد، وقد اعتاد المشرف انه يسجل اسماء اغلبهم في كتيب.

اخذ جورج صُحيفة من ترتشكا وتقدم بها نحو الموقد. فنظر اليه المشرف مستغرباً، ثم تذكر وقال

— وى ! قزم الامس ! هل قمت بشيء ؟

— نعم. لقد كسرت الحجر.

— والآن تود ان تأكل. ماذا تريد ؟

— البرغل والبطاطا رجاء !

وضع المشرف المطلوب في الصحيفة، واخذ منه الورقة النقدية التي قدمها جورج اليه. ثم قال :

— سآخذ ايضا قطعة من اللحم المقلي !

كان ذلك اغراء عظيما بالنسبة للمسكين، الا انه تذكر كلمات ترتشكا ونصيحتها له، وقال، بينما انطلق المشرف يحز اللحم بالسكين :

— لا. اني لا آكل اللحم.

— ماذا ! اتبخل بذلك على نفسك ؟ مع هذا الضعف الذى اعتراك يجب أن تسر حين تجد لجسمك الاكل الشهي.

وهنا شعرت ترتشكا ان من واجبهـا أن تدافع عن جورج أمام هـذا الالحاح الحاد. فاقتربت قائلـة :

ـ انه مصاب بالحمى، ومن الجائز ان يضيره اللحم الدسم.

فصرخ الرجل.

ـ اسكتي ! من قال لك انك مسؤولة عما يصيره او ينفعه ؟ لا تتدخلي فيما لا يعنيك !

ثم التفت الى جورج واستطرد :

ـ اذا، هل تريد ام لا ؟

وقعت الكلمات في سمعه كانهـا امر بعدم التخلي عن الطعـام الشهي ورفضه، الا انه جمع شجاعته وقال في خوف :

ـ هي على حق. لا يجوز لي ان آكل اللحم.

فصاح الآخر، حنقا، وهو يرمي بالسكين جانبـا :

ـ فليكن ذلك ! اني لن اتوسل اليك !

وظل جورج واقفا بين يديه، فسأله :

ـ ماذا تنتظر بعد ؟

اجاب الآخر متلعثمـا :

ـ اعطنى الباقي !

فرفع المشـرف صوته :

ـ اجل، اجل، اجل ! اتظن اني ساحتفظ بقروشك القذرة ؟

وبذلك رمى له الباقي قطعـا نحاسيـة، ثم ادار له ظهره احتقـارا واستهـانـة. فالتقط جورج القطع المبعثرة والصحيفة في احدى يديه، وانتبذ مكانا في زاوية واخذ يلتقم اكله، وكان قد برد الى حد مـا.

وكان في اثناء ذلك ينظر الى المشرف الذي اخرج زجاجة خضراء

واترع كأساً، لمن رغب في ذلك، ظلت تدور من فم الى آخر، وكلما فرغت ملئت من جديد. اما جورج فكان يعلل نفسه بالماء، بمقتضى كلام ترتشكا. وكانت هذه قد تناولت طعامها ومضت تغسل المواعين، امتثالاً لارادة المشرف. وتجمع الآخرون في الخارج تحت ظل الكوخ لينامـوا ما تبقى من ساعة الاستراحة. واما المشرف فقد اخرج من جوف الموقد مقلاة، تتربعها دجاجة شهية ووضعها فوق المائدة قرب الصحن وادوات الاكل وزجاجة الخمر. وحين تهيأ للاكل بهدوء، وقع نظره على جورج الذي كان يفكر في صمت، وقد وضع الصُحيفة بين رجليه. لقد راودته فكرة مساعدة ترتشكا، ولكن خوفه من الرجل طرد من رأسه هذه الفكرة، فصاح فيه المشرف :

— لم أنت جالس هنا في بلاهة ؟ الحق بالآخرين، فليس بي حاجة الى جاسوس يتطلع، في حسد وفضول، الى اللقمة في فمي !

ارتعدت اوصال جورج، واندفع خارج الكوخ. واضطجع فوق الارض الموقدة، لانه لم يجد مكاناً في الظل. وبعد لحظات دق المشرف الجرس ايذاناً بابتداء العمل. اما هو نفسه فقد توجه الى مكانه الخاص خلف الحاجز ليستريح.

وتمدد الرجال وتثاءبوا ولبوا النداء في تردد. ولكن البعض منهم تقلب على الجهة الاخرى واستمر في نومه. اما جورج فقد مضى برفقة ترتشكا الى المحجر، حيث اديا واجبهما المرهق حتى المساء.

وفي الايام التالية كان يجلسان جنباً الى جنب. كانت حالة جورج قد تحسنت حقاً. فاستعاد قوته، وانتهى عهد الفاقة المريرة التي قاسى منها الامرين. والظاهر ان نسيم الجبل المنعش وهواءه الصحي قد عجل بشفاء جسده المحموم. فكان يرفع المطرقة في نشاط وحيوية وهو يروي لزميلته ذكرياته عن سنوات الخدمة العسكرية. ان تجاربه في تلك الفترة لم تشتمل على ما في حياة الجندي من مغامرات جريئة وحيل بارعة، لان طبيعته الخائفة المنزوية لم تتح له التعرف الا على ظلال الحوادث الجانبية، في حين انه اتيح لغيره ان يتمتع باحلى ساعات العمر. وهكذا اقتصر حديثه على ايام الجندية، التي جعلت منها يد العريف جحيماً رهيباً بالنسبة له، فروى لها كيف كان يقف بعدته في الثلج، ويقطع المسافات الطويلة ويقيم في المعسكرات الليلية تحت

الامطـار والعواصف ـ، وخاصة كيف وقف مع فرقته امام "فورما لفيرا" عند حصار "فنيسيـا"، حيث قضى الطاعون على المئات منهم في المياه الآسنـة.

كانت ترتشكا تصغي إليه، ولكنهـا لم تفهم الكثير مما قال، او لعلهـا لم تفهم البتة، فالاشيـاء التي دار الحديث حولهـا كانت بعيدة عن ادراكهـا. ثم انها لم تستطع ان تتصور مدينة في قلب الماء، كما ان كلمة "البحر" رسمت امام ناظريها كآبة غير واضحة. وبالرغم من هذا فقد شعرت بمرارة الظروف التي مرت بجورج طوال ايام حياته. وحكت له هي الاخرى عن الهموم والآلام التي انطبعت في ذاكرتهـا وكشفت له عن اغوار وجودهـا الكئيب الرتيب. وبهذه الطريقة كان الواحد منهما يسلي الآخر من غير قصد. لقد سرهمـا ان يخرجا معا كل صباح، والمطرقـة فوق كتفيهما، ويمضيـا الى المحجر، حيث يقضيان سوية اياما طويلة مشمسة. وما أكثر مـا كان يغفلان عن دقات الجرس او يفزعان منهـا، لانها كانت تنتزعهما من وحدتهما الحزينة الهادئة، وتعيدهما الى الاجتماع بالجماعة المقفرة في الكوخ.

ولكن الوقت الذي جمعهما، وارتبطا فيه ببعضهما بعض اكثر، على صعيد الفاقة المريرة والعذاب اليائس، تماما كما يرتبط الآخرون على صعيد السرور والبهجة وغزارة الحيـاة ـ هذا الوقت لم يدم طويلا، اذ لم يلبث المشرف ان احس بالعلاقة التي نشأت بينهما. فاما ان يكون العمال الآخرون قد وشوا بهما، واما ان تكون طبيعته الشريرة هي التي اوحت اليه بذلك. وعلى اية حال فقد وقف ذات يوم خلفهما وصاح فيهما باعلى صوتـه.

ـ يكفي !

فنظرا اليه في هلع، واضـاف :

ـ لم تبركان هنا متلاصقين كالضفادع.

امض انت ايها المتضور جوعا الى مكانك بين الآخرين !

واشـار بيده الى القسم الاسفل من الحجر، فامتثل جورج لامره في صمت وحيرة، والتفت المشرف الى ترتشكا وقـال :

ـ وانت ايتها الجيفة النتنة الخائنـة !

يبدو انك تشعرين بالعطف على هذا الكسيح التعس ! انتظرى، سابعده عنك واطرده. لو رأيتك مرة أخرى تجالسينه، فسيكون آخر يوم لاقامة النذل هنا. ولن اتركك انت ترين النور ابـدا !ـ

وهكذا حال بين اتصالهما بقسوة.

وفي صبيحة اليوم التالي اجبر جورج على العمل في الخط الاسفل. وحين كانا يلتقيان ساعة الظهيرة لم يكونا يتجاسران على تبادل النظرات، فضلا عن الكلام، لان المشرف كان يراقبهما بشدة، وكان الآخرون ايضا يحرسونهما في شماتة.

رغم ذلك كله فقد حدث ذات مساء، في يوم السبت، ان توجه المشرف مع ندامـاه الى خمـارة القرية القريبة، بينما انشغل الباقون، على عادتهم، بلعب الورق، وقامروا بالاجرة الاسبوعية التي كانوا قد استلموها يومئذ، وكانت الاوراق الوسخة في ايديهم تشكل الدائرة. وان هي الا لحظة حتى تعالى الصياح والعربدة في تزايد مستمر. فتشجع جورج ودنا، خفية، من ترتشكا، وكانت جالسة على صندوق عتيق في زاوية النوم، وقد اسندت راسها بيديها. قال لها، هاما، وهو يخرج من جيبه كيسا جلديا صغيرا :

ـ ترتشكا ! خذي ! هذا ما تبقى لك على من دين.

ووضع في حجرها بعض النقود. فاجابت :

ـ آه ! دعها عندك. ستحتاج اليهـا فيما بعد !

قال في يأس :

ـ لاي شيء احتاجها ؟ لقد فقدت تعلقي بالحياة منذ ان منعت من العمل معك.

فقالت بصوت خافت :

ـ وانا ايضا !

وبعد لحظة بدأ جورج :

ـ لماذا فرق بيننا ؟ وماذا يهمه جلوسنا معا، اذا كنا نقوم بعملنا اليومي على الوجه الاكمل :

تاهت نظراتها بعيدا، واخيرا، قالت :

– انه انسان نذل لا يستطيع ان يرى الآخر سعيدا وان يلاحظ أن كل واحد يحن الى قرب محبوبه.

عقب ذلك نهضت ترتشكا، ورفعت غطاء الصندوق، واخرجت منه، ببطء، سلطة من الصوف وسترة قطنية وحذاء ثقيلا، ثم اخذت منديلا احمر مهترئا وسبحة ذات صليب نحاسي ، ووضعت هذه الاشياءجميعها، في عناية، فوق غطاء الصندوق بعد ان قفلته. فسألها جورج الذي كان ينظر إليها :

– ماذا تفعلين هناك ؟

فأجابت :

– اريد ان انزل غدا الى "شوتفين" لاذهب الى الكنيسة. انه يكره ذلك طبعا، فهو لا يعترف باله. وكم كان يعاقب امي، لانها كانت تحرص على حضور الصلوات في ايام الآحاد، ولانها كانت تأخذني معها دائما. وما اقدره على وضع العثرات في طريقي ! اني لم اترك الكوخ منذ شهرين. ولكني سأذهب غدا، وليفعل ما يريد. فلست اريد ان انسى الصلاة بين قوم لا يعرفون الا الشراب ولعب الورق.

ونظر جورج امامه في شرود، ثم قال :

– وانا الآخر لم ازر اية كنيسة منذ مدة طويلة. سيكون جميلا لو اني استطعت الذهاب معك غدا !

– اجل. سيكون جميلا، ولكن غير ممكن.

واستطرد يقول :

– آه، لا ينبغي ان يلاحظ المشرف ذلك، وحينئذ يمكن ان يذهب كل منا على حدة ونلتقي بعدذلك.

فكرت قليلا، ثم قالت :

– الحق معك. ان هذا لممكن، ولكن يجب ان تذهب قبلي بمدة. هناك على يسار الكوخ طريق ضيقة مخفية تفضي الى الهضبة في اسفل الجبل، فيمكنك أن تنتظرني هناك عند الصليب الخشبي الذي يقوم فوقها.

ثم اضافت خائفة :

– والآن امض في سبيلك، لكي لا يلاحظ الآخرون اننا تحدثنا.

فسار الى فراشه الصلب ونام، بهدوء، وسط ضجيج اللاعبين وفرحة انتظار اليوم المقبل تهز وجدانه.

وفي صبيحة اليوم التالي كانت الارض تلتمع في الق الشمس الوضيء، عندما سلك جورج تلك الطريق التي وصفتها له ترتشكا. وعند الهضبة بحث عن الصليب، وسرعان ما لمحه يطل من بين اغصان الصنوبر في اعوجاج وانكسار. وها هو الآن قد وصل اليه، فجلس، لانه لا يزال لديه متسع من الوقت، فوق صخرة مغطاة بالطحلب، استعملت كمواطىء للصلاة. وكانت سكينة الاحد تحف به من كل جانب، حتى اسراب النحل المتعلقة باكمام الزهور المزرقة، لم يُسمع لها طنين. واصغى جورج بطريقة لا شعورية، وحين اخذ يصيخ السمع، بهدوء، خيل اليه انه يسمع في الفضاء اصداء النواقيس البهيجة. وبدأت مرارة الانتظار تثقل عليه تدريجيا، فقام واخذ يصعد ويهبط، وهو يقطف ازهارا بيضا وصفرا من هنا وهناك،

وهكذا اجتمعت في يده باقة من غير قصد. فحدق فيها وقال في نفسه : « عندما تأتي ترتشكا سوف اقدم لها هذه الباقة. »

ثم قطف سرخا طويلا وغرزه في قبّعته، متمايلا كريشة مهتزة. وفي النهاية لمح ثوبا خفاقا في اعلى التل. وبعد حين وصلت اليه ترتشكا. فاسرع يستقبلها في منتصف المنحدر. فقالت، وهي تتنفس بسرعة :

– ها انا قد جئت ! لقد تركني، هذه المرة، اذهب دون كلام كثير.

ووقف جورج امامها ينظر اليها. لقد خلعت اليوم منديل رأسها وارسلت شعرها الخفيف، وكانت الوان المنديل الاحمر الذي لفته حول عنقها تنعكس على محياها مضيئة اياه. وكذلك السلطة الواسعة والثوب القطني جعلا مظهرها جميلا فاتنا. واخيرا قال جورج

– ما اجمل منظرك اليوم !

فغضت طرفها وقد احمر محياها من حياء. وقالت وهي تضغط بيدها الثوب المنفوخ :

ــ هذه الاشياء كلهــا من مخلفـات المرحومـة امي اني قليلا مـا ارتـديهــا ولذلك تدوم طويـلا !

قـال جورج :

ــ خذى هذه الزهـور. لقد اقتطفتهـا خلال انتظـارى لك. فاخذت الباقة منـه. وكان قد اخفاهـا خلفـه قبـل ذلك. وارادت تـرتشكا ان تضعهـا في عروة صدرهـا، ولـكنهـا كانت كبيـرة، فابقتهـا في يـدهـا التي التفت السبحـة حولهـا. وتخطى الاثنان قرب المروج الخضر والمزارع الضيقـة، حيث تراكمت كوم القمح المحصود. الى ان وصلا الى سوق "شوتفيـن". وهناك وجدا كل شيء يضج بالحركة. ولا غـرو، فقد كان اليوم يـوم الـكنيسة. وكـان الشـارع الطويل العريض التي تتألف منـه القريـة، يتنمـل بالنـاس الذيـن يرتدون اجمـل الثيــاب ويدفعـون العربـات الخفيفـة. اما امـام الـكنيسـة نفسهـا فـكانت قد نصبت دكاكين خشبيـة. تحتوى على اشيـاء متـنوعة معروضـة للبيع : مناديل وغلايين، امواس وجواهر مزيفـة، مواعين الطبخ المختلفـة، خبز مبتـل ولعب الاطفــال.

وقف الاثنان لحظة، مندهشيـن ، امام هذه الاشياء الفاخرة. واحب جورج ان يشتـرى غليـونـا، فقد كان يدخن ايام الجنديـة، غير ان الفاقـة اضطرتـه الى تـرك التدخين والاقـلاع عنه. امـا الآن، وقد كسب خبزه بعرقه، ولم يتعاط الشراب ولم يلعب الورق مثـل الآخرين، فان في مستطاعـه ان يمتع نفسـه بلذة التدخين. وحين اعرب لترتشكا عن رغبته، قالت لـه، ان عليـه ان يتخذ قراره بشأن ذلك، امـا هي نفسهـا فإنهــا ستتقدمـه على مهـل. ثم اضـافت :

ــ ان كنيسـة القريـة مزدحمـة، ولـكن هناك كنيسـة منعزلـة تبعد نصف ساعة عن السوق، وقد زرتهـا مرة واحب ان اذهب اليهــا اليوم للمرة الثـــانيــة.

كانت تعنى بذلك "ماريا شوتس" الواقعة في سفح جبل "صولقندشتاين" وشق جورج طريقـا لنفسـه بين البهـاليل والمساومين، وابتاع غليونـا صينيا جميلا ذا رسوم ملونـة. وخلال ذلك وقع نظره على حليـة لامعـة من الجواهر الـرخيصـة، وفكر، كم ستحلـو هذه الحلية في عنق تـرتشكا ! وبما ان الثمن الذى طلبـه البائع لم يكن مرتفعا جدا، فقد طلب منه ان يلف لـه الحليـة في كـاغد. ووضعهـا في جيبـه وانتقـل الى الـدكـان المجاور، حيث اشترى

بالباقي قلبا من الكعك المبتل. ثم وثب الى اقرب محل واشترى تبغا واسرع باللحاق بها. واراها اولا الغليون، فاعجبت به وقال وهو يقدم لها القلب :

— اما هذا فلك !

كان القلب مزينا بصورة مزركشة، تشكل قلبا ثانيا قد اخترقه سهم، وحول الكل باقة ورد. فتأملته ترتشكا في صمت، ثم اخفته بين الباقة والسبحة وابتسمت شاكرة.

وبعد لحظة قال جورج، وهو يخرج من جيبه، ببطء، الطرد الصغير، والجواهر تلتمع من فتحة الكاغد :

— لقد اشتريت لك ايضا شيئا آخر.

فنظرت الى ذلك وقالت :

— كيف يمكنك ان تصرف كثيرا من اجلي !

ولكن محياها اشرق بالمفاجأة السارة والبهجة الخالصة.

فاجاب في اخلاص :

— اود ان اضحي بكل شيء في سبيلك. ضعيه حول عنقك في الحال، فسوف يزيد في جمالك !

فقدمت له كل ما في يديها، ووضعت العقد حول عنقها، وبما انه كان ضيقا بعض الشيء، وليس به قفل من الخلف، فإنها لم تستطع فعل ذلك. فقال لها :

— دعيني افعل ذلك !

واعاد اليها الاشياء جميعها، ولما استدارت رفع ضفيرة شعرها الاسود. واحكم قفل العقد. ثم قال، وهو يلقى عليها من الخلف نظرة فرحة فاحصة :

— هكذا !

وواصلا سيرهما مبتهجين، وبعد حين بلغا كنيسة تطل من بين اعالي الاشجار الوارفة الظلال. ولم يلتقيا في طريقهما الا بزوار

قليلين. وفي تلك اللحظة بالـذات دخل المعبد قسيس تبدو على وجهه ملامح خشنة، واخذ يتلو الصلاة من غير اهتمام. فركعت ترتشكا في الصف الاخير، ووضعت القلب والباقة امامها، ثم شبكت يديها. اما جورج فقد وقف خلفها. وقد اوحى اليه هدوء المكان بمشاعر غريبة نابية. كان النور ينساب في رقة ولطف عبر حنايا الشبابيك الضيقة المرتفعة. فسمع همهمة القس ودقات ناقوس معاونية الصغار. واقشعر بدنه للهيبة، ولكنه لم يستطع الصلاة، وظل ينظر الى ترتشكا وهي راكعة امامه مطاطئة الرأس، تحرك شفتيها في خفة. انتهت الصلاة بعد حين، وبارك القس الحاضرين فانصرفوا. الا ان ترتشكا تأخرت قليلا. ثم رسمت علامة الصليب وسارت، فتبعها جورج. وعند اجتياز الباب اخذ وكيل الكنيسة يقرقع المفاتيح ضجرا. وفي الخارج كان الضحى يأتلق بانواره البهيجة. وعلى بعد خطوات من الكنيسة كانت تمتد خمارة، قد زينت باعراف الصنوبر، كانها تدعو لزيارتها . وحين لاحظ جورج ان ترتشكا تتجه نحو السوق قال في هدوء

– اتريدين العودة الى البيت الآن ؟

فاجابت وهي تنظر الى فوق :

– الى اين تريد ان نذهب ؟

– ان هناك خمارة في الجهة الاخرى، اظن انه من حقنا ان نتمتع اليوم يا ترتشكا ! من يدري اننا نستطيع الذهاب سوية مرة اخرى !

فتوقفت وقالت :

– لا بأس. اذا كانت لك رغبة في ذلك.

طبعا، ان المشرف سيعاقبني ان انا تأخرت كثيرا. انك على صواب ! من يدري هل نستطيع الخروج سوية مرة اخرى.

وهكذا سارا في اتجاه الخمارة التي انتصبت امام تل لطيف المنظر. وثمة تعالت زانة كبيرة عتيقة ونشرت اغصانها فوق عدد من الموائد والمصاطب الصلبة، ولكن لم يكن احد جالسا اليها. كان كل شيء هنا هادئا منعزلا، اما في الداخل فكان الضجيج والحركة. وبالتالي اطل صاحب الخمارة من البلعب، وكانت اكمام قميصه بيضاء كالثلج، وفوق رأسه قبعة خضراء مخملية. واقترب وهو ينظر الى الضيفين من جانب، فلم يسبق له ان رآهما، حاملا ما طلبه جورج من لحم وخبز وخمر في

كاس كبيرة ذات مقبض. ووضع كل ذلك فوق المائدة التي جلسا اليها وطلب دفع الثمن في التو، ثم عاد مسرعا الى الخمارة. وقدم جورج الصحن الى ترتشكا، فقطعت اللحم قطعا صغيرة. ثم كسرا الخبز وبدآ يأكلان سوية. وكانت ترتشكا تستعمل السكين بمثابة شوكة، لان صاحب الخمارة جلب شوكة واحدة فقط. وتمتعا بالخمرة سوية ايضا والكأس تدور بينهما وبعد الانتهاء من الاكل اشعل جورج غليونه، واخذ يتابع سحب الدخان، منتشيا، وهي تصاعد امام ناظريه في الفضاء الضاحي، خفيفة مزرقة. قال لها وهو يضع يده فوق يدها :

– ارأيت يا ترتشكا ! ما كنا نحلم نهار الامس بالجلوس هنا مبتهجين !

اجابت :

– اجل. لم اكن احلم بذلك !

وخلال ذلك كانت الظهيرة قد اقبلت. وتصاعدت فجأة اصوات الابواق والشبابات. وبعد قليل خرج صاحب الخمارة، وهو يقول للخادم الذى كان يتبعه :

– لقد اقبل اهل العرس. اسرعوا ! ينبغي ان تغطى الموائد.

ونفذ الامر في الحين، لان الوقت قد آن، وما اسرع ما ظهر الركب، يحف به اطفال القرية متصايحين، • كان الموسيقيون في المقدمة، ووراءهم العروسان الشابان، وخلف هذين زمرة الاقارب وكثير من المدعوين الى الحفلة وعدد من الفضوليين. وان هي الا لحظة حتى شغلت الموائد، والقى الحصار عليها، وبدأوا يأكلون ويشربون في طرب وبهجة. وانطلق الموسيقيون يعزفون ارق الانغام، وينفخون بحماس حتى اوشكت انفاسهم ان تخبو. وكان لبطلينا احاسيس غريبة متجاوبة وسط هذه البهجة الطاغية.

لقد اندهشا، اول وهلة، لذلك الاختلاط المتنوع، الا ان ترتشكا لم تستطع بعد أن تحول نظرها عن العروسة، فقد كانت هذه في منتهى الجمال والفتنة والرقة، ولا ريب انها كانت ابنة فلاح موسر، اذ كانت ترتدى مشدا حاصرا اسود مخمليا اظهر محاسن قدها الرفيع، وقد لفت حول جيدها سلسلة ذهبية بمقدار خمس او ست مرات، وتربع شعرها الاشقر، الذي تدلت منه ضفيرتان طويلتان، اكليل مرتفع، استدار حول

محياها الزاهي كتاج صغير. وكان العريس كذلك شابا حضريا تحلى شفته العليا شوارب على عادة الفلاحين، وفوق راسه قبعة يزينها الريش ولحى الوعول، جلبت انتباه جورج. وشيئا فشيئا بدأ الاحساس بالوحدة يطغى على مشاعر الاثنين في زحمة الناس، وكان البعض منهم يصب عليهما نظرات شزراء حاقدة. كما لو انه يريد ان يسألهما : "عم تبحثان هنا، وماذا تريدان ؟..."

واخيرا التفتت ترتشكا الى جورج، وقالت :

– تعال ! فلنذهب، فلا قيمة لنا بين الناس !

لنجلس هناك على حافة الغابة، حيث يمكننا مشاهدة كل شيء وسماع الموسيقى.

ففرح بذلك، وتقدما نحو غابة الصنوبر السوداء التي كانت تحد المرج المتفتح. وجلسا فوق مرتفع صغير، واصغيا الى الانغام التي كانت تنساب اليهما في لطف ورقة وسلاسة وعذوبة. ثم ساد الهدوء فجأة، ورأيا كيف وقف الجميع حول المائدة، يشكلون نصف دائرة. فأن الكمان من جديد. وصاحت ترتشكا :

– ان العريسين يرقصان !

وهذا ما حدث بالفعل. فقد كان العريسان يرقصان بايقاع ثابت ودوران رائع فوق حلبة الهضبة الممرعة. واستطردت ترتشكا تقول، وهي تستند الى كتف جورج دون ان تشعر بذلك :

– انظر ! كم يدوران في بهجة !

– قال وكانه يحلم، ودون ان ينظر الى حيث تنظر :

– اجل. انهم ناس سعداء ! لو امكننا نحن ايضا الاحتفال بزفافنا !

قالت بصوت خافت وهي تمد يدها نحو زهرة حمراء عند قدميها :

– دعك من هذا !

فعاد يقول :

– ريزي !

كانت هذه هي المرة الاولى التي يطلق عليها هذه التسمية :

– ريزي – كم أحبك !

ولم تنبس، غير ان النظرة التي رمت بها اليه بدت كبحر يتلاطم سعـــادة. وحين ارتفع صوت الكمان عاليا في الجهة الاخرى، والعريسان يرقصان وسط الخيمة والهتاف والتصفيق المنبعث نحوهما مشجعـا – حينئذ جذبها بقوة الى صدره، وانضمت شفاهما على قبلة طويلة عميقة.

— 3 —

هل ينبغي لي، انا الذي اخذت على عاتقي رواية هذه القصة في دقة وامانة وصدق، ان اتحدث عن السعادة التي غمرت قلب الحبيبين منذ تلك اللحظة ؟ اظن ان من حقي التنازل عن ذلك، لا لان الكلمات لا يمكنهـا ان توفق في التعبير عن المشاعر التي ارتهما فجاة الق الوجود ونعم الحيـاة الثرة فحسب، وانما لان كل من خبر سحر الحب وروعته يستطيع ان يرسم لنفسه سعادة جورج وترتشكا كما يهوى فؤاده. ومن الطبيعي انه كان عليهما ان يكتما هذه السعادة في حذر وخوف، كما لو ان الحب جريمة. وايـاما كان الامر فقد ظلت هذه السعادة تنمو وتنضر في اعماق اعماقهما. وكانا راضيين بالقناعـة التي تعودت عليهـا طبيعتهما، عندما يتاح لهما اللقاء في الصباح، عند الظهيرة او في المساء، حيث يتبادلان البسمة المسروقة او يتصافحان بسرعة. لقد بدا لهما ان المشرف لم يعد يعيرهما اهتماما كبيرا. ومن ثم بدأ يقل خوفهما من انه قد يعلم او يظن انهما ينزلان معا إلى "شوتفين". اجل، ان جورج، عندما كان ينقل بالعربة الحصى من المحجر، كان يتجاسر، احيانا، على الصعود الى ترتشكا، وثمة يختفي العالم ويتوارى في معانقة الحبيبين.

وفي لحظة كهذه دوت خلفهما فجأة خطوات مقتربة، وما ان ابتعدا عن بعضهمابعض فزعين، حتى وقع نظرهما على المشرف. كان واقفا خلفهما بوجه كالح شامت مغتاظ. وصاح :

– لزمتكما ايها النذلان ! هكذا تطيعان اوامري، وتعتقدان انني لن الاحظ اعمالكما. كنت اعلم تماما انكما قضيتما يوم الاحد الماضي سوية، ولكني اردت أن اكتشف امركما بفعلة جديدة. قد حان وقت عقـابكمـا.

وبذلك مسك جورج من قفاه ودحرجه فوق الارض بضع خطوات، بحيث تطاير الرمل والحصى.

– انقل الحصى الى تحت، انت يا حبل المشنقة ! ثم شد رزمتك وامض في سبيلك. فإن أراك مرة اخرى هنا، لا ضربنك حتى تعوج وتكسح !

وبعد ذلك دفع جورج نحو المنحدر خلف العربة. وقد رفع يده مهددا متوعدا. وكان جورج قد نهض واخذ يصلح من شأنه في وهن وتعب. ثم رجع المشرف الى ترتشكا وسلط عليها نظرات شريرة قاسية،وحدق فيها طويلا، واخيرا قال :

– اما انت فسأكلمك فيما بعد !

ثم ذهب وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

وصل جورج الى رفاقه دائخا شارد اللب. ففارغ العربة بحركة آلية، ثم جلس فوق حجرة وسرح بصره في الابعاد خالي الذهن. كانت السماء في الصباح خفيفة الغيم، اما الآن فقد غام النهار واغبر. وكانت النسمات الخريفية تنساب عبر رؤوس اشجار الصنوبر. وتساقطت فوق الارض امطار باردة ناعمة. ولكن جورج لم يحس بقطراته التي كانت تصفع وجهه بشدة. فقد كانت تتراقص امام عينيه شرارات نارية، وجابت حنايا صدره قشعريرة كاوية. الا انه استعاد وعيه تدريجيا، وتفاقم شعوره بالعار الذى حل به واختلط باحاسيس الجريمة التي ارتكبها ضده وضد ترتشكا. هل اريد طرده وابعاده عن حبيبته بعد ان ارتبطا برباط الحب العميق ؟ وهل يجوز لاحد ان يفعل ذلك ؟ لا، ابدا ! وكلما فكر في ذلك ازداد من حنق وثورة، وهاجت نفسه التي تعودت الصبر والخوف في مثل هذه المواقف. والتهبت في جوانحه قوة عظيمة، تقمصت روحه شجاعة مقدسة وقدرة على مقاومة اية قوة في الارض فتجاسر على ارتكاب ظلم.كهذا. واكتسب اساريره، على مهل ،تعابير اكيدة وطيدة راسخة. وتبدى فيها العزم الصارم، والتمعت عيناه الكابيتان ببريق عجيب. وفي النهاية نهض وصعد الى ترتشكا، وكانت قابعة تبكي، بينما اخذ الآخرون يتطلعون فيه بدهشة.

وقال لها بصوت فيه رنة عميقة جادة :

– لا تبكي يا ريزي !

فلم تجب، فرفع رأسها في حنان ورقة، فاخذت تنحب بصوت اعلى، فاعاد عليها : – لا تبكي ! لم يكن بد من ذلك، وهذا احسن، فنحن. الآن نعرف ما يجب علينا ان نفعله.

تاهت نظراتها امامها :

– لقد طردني، فلا بد ان اذهب – وستذهبين انت معي.

بدا وكانها لم تسمعه، فاستطرد يقول :

– انهم لا يزالون يواصلون العمل في مد الخط الحديدي بـ"كراين" تحت. سنجد عملا هناك.

فهزت راسها ببطء

– الا تريدين يا ريزى ؟ انظرى، هناك شيء آخر. لقد سمعت مرة ان الجنود الذين ادوا الخدمة العسكرية يستطيعون ان يكونوا احراس الخط الحديدى . ساقدم طلبا بذلك، فلعل الحظ يساعدني، فنستلم بيتا صغيرا مثل هذه البيوت التي تنتصب الى جانب الخط تحت، نستطيع بعدها ان نعيش كزوج وزوجة. –

ونظرا لانها لم تقم بحركة تدل على موافقتها، وظلت تبكي بشدة، فقد اضاف :

– واذا لم يتم ذلك، فهذا حق ايضا !

اننا نريد ان نشتغل بضع سنوات بجد واجتهاد، ونقتصد ما استطعنا الى ذلك سبيلا. – فقولى كلمتك ياريزى!

فتنهدت :

– ان كل ما تقوله طيب وجميل ؛ ولكنك تنسى ان المشرف لن يتركني اذهب معك.

– يجب ان يتركك تمضي معي، فانت لم تعودى طفلة. ثم انه لا دخل له فيك. انك عاملة مثل اية عاملة اخرى، تستطيعين ان تذهبي متى والى اين تريدين.

– صدقني انه لن يتركني اذهب – خاصة معك – لقد اخفيت عنك ذلك حتى الآن.

واضافت بعد برهة، وقد احمر وجهها في سواد :

– ويتجب على اللحظة ان اخبرك بذلك. فعندما كانت امي لا تزال بقيد الحياة، حاول غير مرة ان يغريني، ملاطفا اياى، لاقع في شباكه،

غير اني كنت اتهرب منه واهدده باعلام امي بذلك. وفي الصيف الماضي رجع وحده، ذات مساء، من الخمارة وبدأ المحاولة من جديد وقال انه سيتزوجني. ونظرا لاني لم اصغ اليه، فقد اراد استعمال القوة معي، بيد اني دافعت عن نفسي واعربت له عن رأيي فيه. ومنذ ذلك الحين اصبح يكرهني كرها شديدا وينتقم مني في كل مناسبة.

شحب لون جورج، وغاصت الدماء حتى من شفتيه، والتاع صدره بحثا عن النفس. واخيرا نطق :

— يا له من شقي ! اتبقين عنده بعد هذا كله. ومادمت قد عرفت ذلك الآن، فانك لن تبقي هنا. ستذهبين معي، وله ان يحاول منعك !

فصاحت خائفة :

— لا تثق به. ففي مستطاعه ان يقتل من هو اضعف منه !

فاجاب جورج وقد استطالت قامته اكثر من اللازم كما ظهر :

— لقد هاجمني قبل من الخلف، وانا لم اكن اتوقع منه ذلك. ولكن فليحاول ذلك مرة اخرى !

فرفعت يديها واشتكت :

— يا الهي ! لا استطيع ان اراكما تتخاصمان.

قال، وهو يكبح جماح ثورته :

— لن يكون الامر رديئا الى هذه الدرجة. فلنذهب اليه الآن — حالا — لنخبره بالقرار الذي اتخذناه. ولسوف ترين انه لن يقول شيئا. ومهما بلغ به الشر والنذالة، فانه ليس من حقه ولا في مقدوره ان يمنعك من ذلك.

كانت لا تزال رافعة يديها في يأس.

فقال حازما :

— تشجعي يا ريزي ! اتريدين ان اذهب وحدي ؟

فالتجأت الى صدره وتعلقت بعنقه بشدة. فواصل حديثه، وهو يبعد شعرها عن جبينها برفق :

— فلنذهب.

واتجهـا ببطء نحو الـكوخ، هي بقلب خائف فزع من الاشياء التي رأتهـا مقبلـة، وهو رابط الجاش. ـ

وحين دخلا الى الـكوخ، وجدا المشرف جالسـا الى المائدة يقشر البطاطا بسكين في يده. فنظر اليهمـا مندهشـا، الا ان هـذه الدهشـة لم تلبث ان تحولت الى غضب وغيظ. فارتفع قليلا، وقد اسند مقبض السكين الى المـائدة، وكانه يستعد للهجـوم :

ـ ماذا تريدان، انتمـا الاثنين ؟

اجـاب جورج بلهجـة هادئـة.

ـ لـقد طردتني من العمل. وقد جئت لآخذ عفشي واخبـرك بأن تـرتشكا ستذهب معي.

قـام المشرف بحركة كانـه يريد ان يهجم عليه، ولـكنه ارتد خائفـا رغما عنه، حين لمح الجد والعزم اللذيـن ارتسمـا على وجه جورج. واخيرا قـال :

ـ ليس لي جواب على ذلك مطلقـا.

ـ لست في حاجة الى جواب. فترتشكا حرة عزبـاء تستطيع ان تفـعل مـا تـريد.

وتتـابعت انفاس المشرف، فاستطرد جورج، وقد استدار يبحث عن كيســه :

ـ خذي كل مـا يخصك وتعالي !

كان صدر الآخر يعلو ويهبط بشدة. يظهر انه لم يعرف من اين يبدأ، ولـكنـه، في حيرتـه هذه، قد سلط على ترتشكا نظرات قاسيـة، فلـم تستطع اخفـاء خوفها وارتباكهـا. ومـا ان اتجهت الى الصندوق وثب اليهـا ودفع بهـا الى القبـو الذى كان بـابه نصف مفتـوح، ثم قفـل البـاب ووضع المفتـاح في جيبـه. واخذ جسمـه يرتعـد من شدة الهيجـان. وقـال وهو يجلس الى المـائدة ثانية :

ـ هذا هـو جوابي !

وعـاد يواصل عمله في هدوء مصطنع. لقد حدث ذلك بسرعة وبصورة

غير متوقعة ،بحيث ان جورج لم يستطع ان يحول دون ما حدث. الا انه تمالك نفسه في التو، وعلق كيسه دون عجلة فوق كتفه. ثم تقدم نحو المشرف بخطوات بطيئة. وقال في هدوء :

— اخرج ترتشكا !

كان المشرف يقشر البطاطا

— اخرج ترتشكا !

وارتعدت يدا المشرف، وحين اعاد جورج طلبه للمرة الثانية بالحاح اشد، وثب رافعا قبضة يده. وصاح :

— اذهب الآن ! — اذهب ، والا... !

— والا ماذا ؟

واضاف جورج في ثبات.

— لست اخافك وان كنت اقوى مني.

في المرة السابقة كانت لك معي لعبة هينة، لاني كنت ضعيفا مثل ترتشكا الآن. ولكنني اقف لك الآن العين بالعين.

كان وجه المشرف قبيح المنظر، ترتسم عليه علامات الكراهية والنقمة والجبن الكسيح، وتموج صاعدة هابطة، وافترنفسا، وامتدت يداه في ارتياب، ولاحظ جورج ذلك فازداد من ثبات وقوة وعزم وقال :

— لذا انصحك باعطائي حقي اختيارا، والا فسوف آخذه بالقوة.

وفي اثناء ذلك كان قد تجمع بعض الرجال في الكوخ، لان وقت الغداء كان قد اقترب، وكان لحضورهم اثر بالغ على المشرف، اذ انه شعر بنوع من الاطمئنان، واستحال جبنه جرأة وقحة، وقد احس به على مضض خوفا من ان يلاحظه الآخرون. وقال :

— ان النذل يتجاسر على تهديدي، لاني سجنت المرأة الدنيئة، لكي لا تهرب معه.

وتصاعدت الدماء في عروق جورج لا اراديا.

— لا تشتمنا ، فنحن شرفاء. وليس من حقك ان تسجن ترتشكا، ولو كانت دنيئة.

– كيف ؟ ليس من حقي ؟ انها ربيبتي وقد نشأت في كنفي.

– ويا للاسف ! ولا اقول اكثر من هـذا . اني اريد ان اترفق بك أمام هـؤلاء.

قال ذلك وهو يشير الى الرجال الذيـن كانـوا يراقبون الخصام المتزايد في فرحـة صامتـة.

– اتسمعـون الكلب ؟ انه يريد ان يترفق بي !

خذوه واخرجوه من هنـــا !

تبادل الرجال النظرات، ولكنهم لم يحركوا ساكنا. ومن خلف باب القبـو كان يتصاعد انين وعويل حاد. وقال جورج، وقد اشتد هياجه :

– الا ترى ؟ لا احد يفكر في مسي لذلك اقول لك للمرة الاخيرة : اطلق سراح ترتشكا. – والا فسوف آخذ المطرقة من هناك. ضربتـان بهـا وينفلق البـــاب !

– ماذا ؟ اتريد ان تحطم البـاب ؟ ايهـا اللص، ايها القرصان ! اخرج، والا ابعث في طلب رجال الدرك !

– ارسل من يحضرهم، وسوف يتضح من منا على صواب !

قال جورج ذلك بعنف، ثم اضـاف :

– سوف يتضـح لم سجنت ترتشكا ! وعندئـذ يتضح ايضـا كيف كنت تعاملهـا منذ الصغر، وكيف تربصت بهـا دون حيـــاء، واحتفظت باجرها اليومي وبكل ماورثتـه عن امهـا، وقد كنت انت المسؤول عن موتهـا ! اجل، عندئذ يتضح كيف تعامل الضعفـاء والعاجزين، هنـا، وتقتـات من عـرق العمـال ودمـائهم، هؤلاء العمال الذين وكل امرهم اليك. –

وتوقف جورج بصورة لا شعوريـة. ان صحـة هذه التهم وقوتهـا قد اخرجت المشرف عن اطواره وذكرتـه بافعـالـه. فاحمر وجهـه وازرق، وخار كالثـور الهائج، وتطاير الزبد من فمـه، وبزغت عينـاه – هـكذا اندفع نحو جورج والسكين تهتز في يده، الا ان جورج كان قد مسك المطرقة ولوح به نحو الهاجم. ورنت ضربة صمـاء. اصابت المشرف في صدره فترنح – وتهـاوى محشـرجـا، ودمـاء ثرة قانيـة تندفع من فمـه.

ساد الصمت برهـة، فقد استولى على الحاضرين رعب ابكم قاتل. اما جورج فقد وقف هناك كداود على جثـة غوليـــاث. ونادى، وهو يضرب قفـل البـاب ضربـات متتـالية :

– ريـزي ! ريـزي ! اخرجي يا ريـزي ! فانت حرة. ان معذبنـا مضطجع على الأرض.

فخرجت مسرعة، وحين وقع بصرهـا على المصاب، صرخت وهي تلطم بيديهـا.

– يا سوع ومريم ! لقد مـات يا جورج ! جورج، مـاذا فعلت ؟ والان ستقـــاد الى المحكمـة كقـاتـل !

– فليكن ذلك. سادافع عن نفسي. وعلى هؤلاء ان يشهدوا بانه كان يريد قتلي بالسكين.

ثم التفت الى الرجـال وقـال :

– اذهبـوا انتم الى تحـت واخبروهم بان العـامل جورج هـوبـر قد قتـل المشـرف.

ولم يفعل احد ذلك الا بعد مدة طويلة. اما جورج فقد جلس مع تـرتـشكا امام الـكوخ، وبينما انفجرت هي بالبكاء والنحيب، كان هو لا يـزال متعـاليا فخـورا بفعلتـه التي ظهرت له بمثابة محكمة قضائية عادلـة. ومن وقت لآخر كان يداعب وجنـة تـرتـشكا بلطف معزيـا اياها. واخيرا اقبل رجلان من موظفي الادارة يرافقهما رجل من رجال الدرك. وبعد ان رويت لهم الحادثـة اخذوا يتشاورون فيما بينهم. فقال رجل الدرك :

– يجب ان يساق الى السجن، هـومجـاز وسيقدم الى المحكمة العسكرية في مدينـة "فيـز نويشتـات" .

وحيث ان جورج ابدى استعداده لذلك تلقائيا. فقد اخبر بانه لن يكبل بالقيود. اما ترتشكا الباكية فقد حاول رجل الدرك تهدئـتهـــا وتعزيتهـــا ومواساتهـا، اذ انه لم يكن يعتقد، بعد كل مـا سمع، ان عـاقبتـه ستكون وخيمـة، حتى انـه سمح لهـا بالجلـوس في مقدمـة العربة التي حملتهمـا فيمـا بعد الى "فيـز نويشتـات" – وهـكذا سافـرا عند المسـاء وهبوط

الظلام، وذلك في الوقت الذي اخذت فيه الجثة، وكانت الامطار تهطل باستمـــرار.

— 4 —

سجن المخضر يشبه اي سجن آخر، مع فارق واحد، وهو ان المقيمين فيه يرتدون بدلات رسمية عتيقة. فكان فيه جنود من كل لون ورتبة. وبما انهم كانوا يعتبرون انفسهم منتمين الى طبقة واحدة، بل ربما اكثر من ذلك، فقد كانوا متحدين فيما بينهم اكثر مما جرت به العادة في اي مكان آخر. ولم تكن معروفة بينهم اساليب التربية وطرق النظام التي تفرضها، عادة، المحافظة على الفروق الطبقية. ورغم هذا كله، فكان سجنا من هذا النوع يظل مكانا حزينا مقفرا. ولا ينبغي ان يدهشنا ان جورج لم يكن مرتاحا كل الارتياح في ذلك السجن بمدينة "فيز نويشتات". وكان مدير السجن، يرافقه الحرس، قد زج به، بعد وهن من الليل، في مكان مظلم مزدحم، وثمة اضطر الى النوم فوق سرير خشبي، وشخير النيام يتصاعد حواليه، لان كيس التبن لم يكن قد اعد له بعد، وكانت شجاعته وثقته بنفسه قد انطفأت فورتهما خلال الرحلة الطويلة المتعبة. وتحولتا في اعماقه الى شكوى فزعة وعتاب صارخ. وحين تسرب بصيص من نور عبر النوافذ المدفونة، واضيئت الجدران العارية القذرة تدريجيا ومعها وجوه زملائه المساجين، عندها اتضح له وضعه اكثر وثقل على نفسه. وليس ذلك لانه كان خائفا من عواقب فعلته، فهو قد هوجم فاضطر الى الدفاع عن نفسه، وانما لان صورة القتيل تراءت له، فقد لمحه امامه شاحبا جامدا ملطخا بدمائه. واختلطت في وعيه اليقظ مشاعر الندم والشفقه، وارتجت اعماقه لانه قتل انسانا. وهذا كله جعله يشكو من ان كل ما حدث لم يكن منه بد. ومما زاد في سوء وضعه وتردى حالته في السجن، حيث تكالبت عليه الافكار ان الايام تمضي تلو الايام، والاسابيع تلو الاسابيع، دون ان يستنطق او يهتم به. والى هذا اخذت الهموم تساوره بشأن مستقبله، واستبدت به الحيرة في امر ترتشكا، وكم كان يتعذب عندما يعاوده الحنين اليها ويرهقه التفكير فيها وكانت المخلوقة التعسة قد عثرت على مكان قضت فيه ليلتها، ذلك بمساعدة رجل الدرك، وفي اليوم التالي وجدت عملا في بناء دار جديدة. ورغم هذا فان اعماقها لم تعرف العزاء والسلوى. ولم يفكر أحد من اولئك الذين مروا بموقع البناء ورأوها صدفة تحمل الآجر او الدلو المملوء بالملاط، لم يفكر في أنها تؤدي ذلك بألم عميق وقلب كسير. واعتادت ترتشكا، كلما انتهت من

العمل في المساء، وفي ايام الآحاد والاعياد، ان تدور حول الشكنة التي يوجد السجن بداخلها، وتتطلع الى كل نافذة ذات شعرية، علها تلمح وجه جورج في مكان ما، بحيث انها تعرضت غير مرة للشتم والطرد من جانب الرقباء. وبالتالي توجهت، مرغمة، الى جنود الحرس بالباب، والتمست منهم ان يدلوها على مكان السجين جورج هوبر، لانها تريد ان تكلمه، الا انها بطبيعة الحال لم تسمع منهم غير ضحكات الاستخفاف البذيء والمزاح الماجن، الى ان رحمها في النهاية ضابط تبدو عليه ملامح البر والاحسان، واعرب لها عن استعداده للبحث عن السجين المذكور وتبليغه تحياتها له، ولكنه لا يمكن ان يسمح لها بزيارته والتحدث اليه الا باذن من قاض المحكمة العسكرية. فينبغي لها اذا ان تذهب اليه، وذلك في الصباح، لانه من الصعب العثور عليه طوال اليوم كله.

وفي يوم الاحد التالي ارتدت ترتشكا سلطتها الصوفية وثوبها القطني وتوجهت الى البيت الذي وصفه لها ضابط الصف. وهناك انتظرت طويلاً في الممر، فقد قيل لها ان القاضي لايزال نائما. واخيرا خرج هذا، مرتديا ملابسه الكاملة، وسألها بسرعة عما تريد. ولم يدعها تتم كلامها، واخبرها بان السماح بالتحدث الى المساجين لا يكون الا في حالات نادرة، وفيما عدا ذلك ينبغي لها ان تكون مطمئنة، فإن الامر كله سيتم عن قريب. وعادت بقليل من العزاء، ومرت الاسابيع تترى من غير ان يتخذ قرار بشأن جورج، وذلك، لمجرد قوله، لان القاضي كان شابا مرحا مغرما بالحياة. فكانت جميلات المدينة اقرب الى قلبه من اعمال المحكمة، لا سيما المعاملات التي تتعلق بالجنود المجازين دون ان يفصل فيها على عجل، فانه يؤجلها بكل رغبة. وتفاقمت الهموم وتراكمت على ترتشكا فصممت على الذهاب اليه مرة اخرى، ولكنه اشار عليها بانه لم يبق لها الا ان تتوجه الى عقيد الدائرة، وهو على اية حال رجل شديد، ولكنه رغم ذلك ساعد اناسا كثيرين، وهكذا قررت ان تفعل هذا ايضا، الا انها في هذه المرة لم تنتظر في الممر، بل في غرفة الانتظار، حيث وجدت الدفاء، فقد كان الوقت شتاء. وفي النهاية سمعت قعقعات السيوف، وخرج بعض الضباط من غرفة العقيد وساروا في يأس ظاهر. وبعد لحظة فتح الباب ثانية واطل منه رجل ذوهيبة، مرمد الشارب، وسألها، في جفوة، عما تريد، وما كادت تنفجر باكية حتى لانت اساريره

بعض الشيء. فادخلها وجلس يستمع الى قصتها. وبعد ان وجه اليها بعض الاسئلة، طلب منها ان تروى له الحادثة بكل تفاصيلها، فانطلقت تقص عليه ذلك في بساطة ويسر، ولكنها اصابت كل الحقيقة، بحيث ان العقيد، الذى كان في اثناء ذلك كثيرا ما يمسح شاربه، رق لها وتأثر بكلامها تأثرا واضحا. وحين انتهت من رواية الحادثة، نهض ووضع يده على كتفها في حنان ولطف، وقال لها، ان عليها ان تهدىء من روعها، ووعدها بان القضية بكاملها سيفرغ منها في اقرب وقت ممكن، وانه ليرجوا ان تتم في صالح جورج. فابتعدت عنه بقلب فرح ونفس مطمئنة. اما العقيد فقد اخذ، للحظة، يذرع الغرفة جيئة وذهابا، مفكرا وكان بين الحين والآخر يضرب مهمازا باخيه في هدوء. واخيرا ارسل جنديا في طلب القاضي العسكرى. ومضت مدة طويلة قبل ان يدخل الشاب، مجهدا، وينحني امامه انحناءة خفيفة. وبدأ العقيد :

— ايها السيد القاضي ! لقد سجن هنا، قبل اربعة اشهر على التقريب، مجاز يدعى جورج هوبر لاجراء التحقيق معه في قضية تتعلق بالعرف العسكري.

ففرك القاضي جبينه بحركة لا شعورية :

— جورج هوبر — نعم، نعم، هذا صحيح. اظن ان الامر يتعلق بقضية قتل —

— هو ذاك. ان الامر يتعلق بذلك. واحب ان ينتهي التحقيق في قضيته. قال القاضى وهو يجتر نفسا :

— لا شيء اهون من هذا. انها قضية عادية غالبا ما تحدث بين اشخاص من هذا النوع. وفي حالة كهذه يرسل الرجل عدة مرات الى الشارع وبذلك تنتهي المسألة !

— لا. ايها الفاضل !

كان هذا جواب العقيد ، واستمر يقول :

— اذا، لكانت المرافعة سطحية وغير عادلة. بالعكس، انه ليهمني ان تبحث القضية وتعالج بدقة وتأن في اقصر مدة ممكنة. واني لاسمح لنفسى ان الاحظ، من غير تعد على حقوقك الشرعية، ان هناك، كما اعتقد، روابط خاصة تلعب دورها في هذه المسألة.

وعند هذه الكلمات عقد ما بين حاجبيه، فادرك القاضي قصده، وانحنى انحناءة عميقة، ثم انصرف. ومضى رأسا الى مكتبه. وحيث انه لم تكن تعوزه النظرة الثاقبة والمهارة الفائقة. فلم يمضي وقت طويل حتى اجري التحقيق مع جورج واستنطق الشهود، وكان من بينهم ترتشكا ايضا. واجتمع قضاة المحكمة العسكرية واصدروا الحكم التالي: "ان جورج هوبر المجاز من الفيلق الثاني عشر، قد ثبتت عليه جريمة القتل، وحكم عليه بالسجن الشاق لمدة سنة واحدة. ولكن بما ان التحقيق قد اثبت انه كان في حالة دفاع عن نفسه، ونظرا لوجود اسباب اخرى تستلزم تخفيف العقوبة عنه، لا سيما سيرته الحسنة ايام الخدمة العسكرية، فإن المدة الطويلة التي قضاها في السجن بدائرة التحقيقات الجنائية تعتبر عقابا له. "لقد خجل القاضي نفسه، واحمر وجهه قليلا، حين كتب هذه العبارة الاخيرة، ولكن وجهه ازداد من احمرار عندما قدم، صبيحة اليوم التالي، وثيقة الحكم الى العقيد للتوقيع عليها.

وبعد ان قرأ هذه الورقة، ربت على كتفه، وقال:

– هكذا نرى ان خيطا رفيعا من سعادة قد يساعد على اداء الوظيفة.

ومع هذا فقد صافحه وودعه بلطف.

وبعد يومين، فبعث العقيد في طلب جورج وترتشكا. ونظر اليهما طويلا في صمت، ثم سألهما عن هذا وذاك، وختم سؤاله بان نصحهما بالبقاء في المدينة ليكونا قريبين منه. ووعدهما بانه سيبحث لهما عن عمل مناسب يعيشان منه. وبالتالي اكد لهما انه سيتصل بهما فيما بعد. وما ان ترك الاثنان الغرفة، يتمتمان بكلمات الشكر الخجولة، حتى اخذ يروح ويجيء في الغرفة، ووقع المهماز يرن حواليه. فقد كانت ثمة افكار غريبة تدور في رأسه وتضطرب في اعماقه. كان، قبل سنوات عدة، قد احب فتاة رشيقة شقراء، وكان سعيدا بذلك الحب. ولم يشق بسببه فيما بعد، لان الجميلة تأبت عليه واستخفت بحبه ورفضت عواطفه، فلو كان الامر كذلك لتعزت عنها نفسه اليافعة القوية المتكبرة، وانما لان ميوله الصادقة قد خدعت واستغلت بصورة فاحشة، الامر الذي ملأ قلبه مرارة دائمة وحقدا مرضيا على الجنس اللطيف، ذلك الحقد الذي لم يستطع اخفاءه، حتى انه حمل، فيما بعد، على غريزة الحب وادعى انه لا وجود للحب الا في قصص الشعراء المجانين، اما في واقع الحياة فلا يوجد اثر له. والآن، وبعد ان احتفظ لنفسه وللاخرين لهذا الرأي، رغم اعتراض هادى

تصاعد في اعماقه، الآن تصدى له الحب، فجأة، بكل عمقه واخلاصه وتفانيه وحنانه، متمثلا في هذين المحبين التعيسين ــ واجتاحت حنايا صدره رجفة لا توصف وحياء صموت. واختلط بذلك كله شيء من الحسد، ولكنه عزم، ما دام الامر في يده، على الاهتمام بالاثنين والعمل على اسعادهما مدى الحياة.ــ

وهناك، حيث يمتد الخط الحديدي الاسود بمحاذاة نهر "المور" الخرار، مارا بالمروج الخضر والمراعي البديعة، منعطفا حول قصر "ايرنهاوزن" الذي يطل من فوق هضبة مشجرة على مكان يحمل نفس الاسم. ــ هناك انتصب بيت وحيد لحراسة الخط الحديدي، وخلفه حقل صغير زرعت فيه الذرة والخضار، وامام الباب المحفوف بسياج كثيف تفتحت ازهار الخباز وعباد الشمس برؤوسه الكبيرة. في هذا القطاع الصغير الذي سحر المارين بلطفه وهدوئه، كان يعيش جورج وترتشكا منذ خمس عشرة سنة، وهذا شيء لم يتجاسرا على التطلع اليه سابقا، وليس من الضروري ان نذكر بصفة خاصة ان العقيد قد ساعدهما في ذلك. ان المرء لا يكاد يلاحظ ان السن قد تقدمت بهما. انهما كانا يقومان بواجبهما سوية ويؤديان وظيفتهما التي تحملهما ليل نهار مسؤولية كبيرة وبالرغم من هذا كله فانهما يجدان الوقت الكافي لزراعة الحقل والعناية بالماعز والدجاج المنقنق، وتربية طفليهما ذوى الشعر الاشقر، وقد ولدا بعد مضي فترة من عمر الابوين ونشأ خلف السياج. اجل، لقد اتيح لجورج وترتشكا ايضا ان يجلسا امام الباب، احدهما ممسكا بيد الآخر، ويقضيا ساعات المساء في خلوة، متأملين انحدار الشمس الغازبة. وكانا يمجدان باستمرار، ذلك اليوم الذي التقيا فيه لاول مرة فوق تل "سيميرينغ". وتتلاحق عليهما صور الماضي بكل الآمه ومسراته ــ حتى تلك اللحظة التي اصابهما القدر فيها بضربة رهيبة ــ ومع ذلك كانت سببا في سعادتهما. وحين يتمدد في صحو صدريهما ظل غائم اسود، يسرعان بمناداة طفليهما، فيتعلقان بذراعيهما لاعبين مداعبين، وهما ينظران الى الدنيا، في وداعة، بعيونهما الصبيانية الواسعة، كانهما ليسا مقبلين على تقلبات الدهر التي تنتقل بالوراثة من جيل الى جيل، ما دام ثمة بشر يتنفسون فوق الارض الطاعنة السن.

ترجمة أبو العيد دودو

ندوة القراء

في الشعر وإمارته

بقلم : أبو الوليد

ما فتيء حب العظمة يساور أفئدة الشعراء من أقدم عصور الادب. ولطالما حملهم الالهام على اجنحته الوهمية، فأقعدهم على أرائك سيادة حالمة وديعة تفيؤوا ظلالها، وظلوا يمرحون في حللها القشيبة الفاخرة بمشهد الرعايا والاتباع الوهميين، وان كانوا المؤمنين بنفاسة آثارهم وروعة اشعارهم.

ومن شأن الشاعر بطبيعته أن يطمح الى شبه سلطان قاهريضطلع به فكريا، والى ضنف من امارة يحتلها في عالم الخيال.

والضمير، اوليس هو المالك أزمة البيان، والنافذ بفتنة الفاظه السحرية الى مغاور الوجدان. من اجل ذلك تبارى الشعراء من قديم الزمن وبعناوين مختلفة على نيل قصب السبق، واحتياز كرسي الملك، وان لم يسموا ذلك امارة، ولادعوه عرشا، ولكن ما يهمنا هنا هو المسمى، وهو ذلك الواقع النفساني لطائفة من الشعراء عرفوا بحب المجد وعظمة الطموح.

ولطالما أقيمت الاسواق، لا سيما عند العرب في جاهليتهم، لبعث القيم الرفيعة في عالم القريض، والتنويه بتفوق اربابها، وان لم يمنحوا حرفيا لقب الامير.

ومعلوم ان الشعر كان يومئذ هو الترجمان الاوحد للفكر، كما كان المظهر الفريد، او يكاد، للابداع، في مجال الفن. وكذلك بايع العرب، على تلك الصورة غير المباشرة، عدة امراء للقريض في تلكم الاسواق الادبية الحافلة. ولكن لم يدعوا امراء لفظيا، فلقد كللت آثارهم، وعلقت قصائدهم.

وصادف أن اجتمعت الامارتان، الزمنية والشعرية، لامرىء القيس بن حجر الكندي في فجر نهضة العرب الاولى قبيل الاسلام. فقالوا من يومئذ : « بدىء الشعر بأمير... »

وظل الشاعر المبرز محفوفا من يومئذ بهالة تفخيم معنوي، ربما

تبجح بمقتضاها باحتلاله منزلة الامير. وما أقرب التباهي والتبجح الى طباع الشعراء، فلقد يحملهم الادعاء والاعجاب بشقشقة ألفاظهم، وزخرف اوزانهم، الى انتحال أفخم الالقاب، والى احتلال أرفع المناصب في عالم الاحلام، سنة الله في خلقه، وشنشنة مألوفة من القدم لدى عبدة الاوزان ومنسقي الاعاريض.

وانه، على الحقيقة، لصنف من غرور، وضرب من وهم باطل قد يجد فيه بعضهم راحته، وينعم بخادع شعاعه، ولامع سرابه، فيتوهم امارة وصولة وعظمة، ولا شيء مطلقا من ذلك في الواقع الملموس، اللهم الا زائف الرؤى وكاذب الاماني والاحلام. ولئن صح شيء من ذلك ففي نطاق قول بعضهم.

منى ان تكن حقا فيا غاية المنى   والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ومهما كان من امر، فكل شاعر يحترم نفسه، او على الاصح، يعجب بها ويعنى بتملقها واطرائها، نراه قد قلدها الامارة على الاقل، هذا ان لم يتشح وشاح السلطنة، او يحمل اكليل الامبراطورية.

هذا فضلا عمن زعموا تلقي الوحي وتباهوا في سذاجة إلهامهم بوصف الرسل والانبياء! وما عنينا ههنا ابا الطيب، كما قد يتبادر للظن. فحسبنا أن نتلو هنا بيتا مأثورا لاحد هؤلاء الامراء، وهو قول الشاذلي خزنه دار.

لو شاء ربك في الكتاب زيادة   لاضاف آياتي الى تنزيله

على انه ما ثبت عندي قط ان المتنبيء قد ادعى النبوءة يوما. انما هو لقب الصق به إلصاقا، وبه قد طار صيته وسار ذكره على مدى الاجيال.

لكن ابا الطيب لم يخل هو ايضا، بل هو بالخصوص، من تعاظم وكبرياء، واعجاب مفرط بمواهبه ومقدرته، وهو القائل فيما قال :

وفؤادي من الملوك وان   كان لساني يرى من الشعراء

وما كان ذلك مجرّد ادعاء وتخرص من الدجل، ولا كان من قبيل الوهم والغرور المحض. فقد اثبتت لنا حياته وشيمه وآثاره أنه كان مظهرا لعظمة انسانية عزيزة النظير.

أقــول مظهرا للعظمة، ولا أقول للفضيلة او الكمال الانساني، دفعا لما قد يثـار هنا من خصومات، لا محل لهـا من اعراب، حول قيمة ابي الطيب من حيث الاخــلاق.

ولا أدل على عظمة الرجل من هـذه التهجمـات الكثيـرات التي مـا انفكت تتهاطل الى يوم الناس هـذا من لـدن فريق كلفـوا من غابر الأزمان بتحطيم المجد، وتشويه العظمة والنبل، وإنكار العبقرية والفضل.

على ان اعجابي بعظمة ابي الطيب بل حبي المتناهي لشخصيته الفذة، وتقديري لجلال شاعريتـه الخالدة ـ كل ذلك لا يمنعني من ابداء أسفي، لا لكونه قد منح شعار الملك او الامير في مجال الشعر وميدان الفكـر والخيال، فهذه الامــارة قد أمسى واقعـا أرسخه الزمان. انمـا آسف لكونه التمس امارة زمنية، وانتجع ولاية ارضية فانية متلاشية، مرتضيـا لنفسه من اجل ذلك بخطة المهانة والاستجداء، متـذللا مستخذيـا بحضرة ممدوحــه الخصي، ومقصوده المملك الزنجي، وهو من صلاه فيما بعد بلاذع الهجــاء، وسمــاه العبد الآبق وغيرذلك من الاسمــاء. فما أغنى تلك العظمة الفكرية عن مثل هذه الهنـات المستهجنة والرقصـات المزرية. واني، وان أعجبت بإبداع الشاعر في فنه وتعبيره، ليعروني الخجل حين أقـرأ له هذا البيت وأتـرابه، متوجهـا به الى كافــور

أبا المسك، هل في الكأس فضل أناله ... فإني أغــني منذ حــين وتشــرب
وهبت على مقدار كفّي زمـاننـــا ... ونفسي على مقدار كفّيك تطلــب
اذا لم تنط بي ضيعـة او ولايــة ... فجودك يكسوني وشغلـك يسلــب

وانها على الحقيقة لآيات فذة في بابهـا، فريدة في منحاهـا، فائقة الاحكام في مبناها، وان كانت البائية كلهـا من أولهـا الى آخرها على هذا النمط من الاحكام والجمال. ولكنني بودي لو ان الشاعر قد ضحى بالقصيد كله، وباثنين آخرين من أمثاله، تفاديـا لما لحقه من ذل الاستجداء، وتحاشيا لما اصابه من المهانة ورق الاستخذاء.

لقد كان في نظري من حق شاعري المفضل أن يكتفي بامارة الفكر الخــالدة ومملكة الشعر الباقية، اى بتلك التي منح اكليلها الوهاج من يوم ان اتصل بممدوحه الكبير سيف الدولة واطبقت سمعته الآفاق. فما فتىء معتليـا عن جدارة ذاك العرش في عالم الضـاد الى يوم الناس هـذا، باعتراف

كل ناقد نزيه مترفع عن تافه الاغراض

هنالك اذن امارة شعرية يمنحها ذيوع الصيت، ونبوة الذكر، وعلو الكعب ورواج الشعر، واطباق الخاص والعام، واجماع القاصي والداني على تقدير نتف القريض، وترديد تحف البيان، وتقييد طرف الحكم، وجوامع الكلم. فذلك ما حظي به ابو الطيب وهو حي يرزق، فنال ذروة العلياء وتربع سنام المجد، وهو عين ما تكهن به، اذ قال :

وتركك في الدنيا دويا كانما   تناول سمع المرء أنمله العشر

فما كادت ترسخ قدمه بحلب حتى اطبقت سمعته الآفاق، وانتشرت ابياته المتينة المليئة الصداحة في الخافقين، وهتفت به الاداني والاباعد، ان لم يكن بالقول فبالفعل، ملكا للشعر واميرا للبيان ونبيا للقريض. وذلك هو الحدث الذي شاهده الشاعر وسجله على هذا المنحى اذ يقول :

وما الدهر الا من رواة قلائدي   إذا قلت شعرا أصبَح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا   وغنى به من لا يغني مغردا

ويتوجه الى ممدوحه سيف الدولة فيرسلها آيات محكمات وعرائس مجتليات

أجزْني اذا أنشِدْتَ شعرا فانما   بشعري أتاك المادحون مُردّدا
ودعْ كل صوت غيرصوتي فإنني   أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وكذلك يسجل الشاعر المظفر في معركته الفكرية مراسم هذه البيعة الشاملة المستفيضة التي خولها من لدن معاصريه الذين اعترفوا له عفويا بالامارة وباهوا السلطان في مجال العبقرية والفن، ولقد تجاوزت تلك البيعة مدى معاصريه الضيق المحدود، الى مدى الاجيال المتعاقبة على كر الملوين، وتتابع العصرين فها هو الدهر في مجموعه قد اذعن للعبقري الفذ، واقامه أميرا لا ينقرض له سلطان، او ينطمس أثر، اوينقطع خبر.

ها هو الشاعر يطاول الفناء، ويكافح الزمن، بل ها هو الدهر، وهو الماحي للآثار، والمبيد للاحياء — ها هو الدهر يعمل على تخليد آثار الشاعر، وعلى نقلها الى مسامع القرون، وحفظها من العفاء والدثور :

وما الدهر الا من رواة قصائدي   اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

وهذا في نظري من اروع التعابير عن سمات العظمة الخالدة التي منحها الفكر المبدع الخلاق. وانه لقوة من القوى التي لا يخمد لها ضرام.

العظمة الفكرية امارة وشوكة من صنف خاص ممتاز لانها تكون لها الانصار والاعوان والخول والاتباع في كل عصر وعلى تعاقب الاحوال وتغير الاوضاع، في غير ما احتياج الى وفرة عتاد مادي او دعاية آلية منسقة من صنف ما نشهده في هذا العصر، وكذلك تؤلب عليها الاعداء والمناهضين. ومن لم يدرك العظمة ناهضها وحاربها ونفاها. ولنا عودة الى موضوعنا ان شاء الله ولكل أجل كتاب.

" ابو الوليد "

مطالعات

قلم وحصيد

الاستاذ مازيغ... و « بين عصرين »

بقلم : فرج المحجوب

يتحسس القارىء هذه الايام شبه حركة بدأت تدخل السوق الفكرية وتقتحم المكتبات العامة، وهي مطبوعة بالطابع التونسي الصميم، اسلوبا وعرضا وروحا. خاصة بعد العزم الاكيد الذى أعلنه السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار في ندوته الصحفية الشهيرة، ولقد لاحظت خلال أيام قلائل رصيدا من الانتاج محترما بالقياس الى الفترة، الزمانية... لا حظت رصيدا من المؤلفات يبرز في اطار يبشر بأمل عريض في تحقيق الاهداف التي يرمي اليها جل المثقفين وخاصة منهم رواد الادب المغربي نثرا او شعرا اولائك الذين تهتز قلوبهم طامحة بالنشوى كلما شاهدوا مولودا جديدا من مواليد الفكر التونسي يتحدى الظلام والصمت الى النور والحياة. وهذا الرصيد الذى بدأ يقدم نفسه للناس يمتاز بأنه يشعر عميق الشعور بكيانه، ويثق جد الوثوق من صدق هدفه، وصراحة اسلوبه، ومن ثمة كان يدنو شيئا فشيئا من أيدي القراء وادمغتهم... بيد أن هذا الدنو يعتمد جذريا على ما يحتضنه ذلك الانتاج من حصانة... اعني أن المؤلفات التونسية العديدة التي برزت لحد الآن كان اقتحامها بيوت القراء ومكتباتهم مركزا على ما تضمنته بين دفتيها من غذاء دسم وصيد سمين، وقد سلكت في الحكم مبدئيا على هذا الانتاج مسلك التعميم لايماني سلفا بان بعض ما ورد فيه من هنات لا يقف حائلا دون الاشادة بالعناصر الاساسية لكل انتاج واجه السوق بعد الثورة الكبرى ؛ فالمادة الخام تبلورت عند المنتجين والمحنطات موفورة جمة والعزيمة في اندفاع سريع، كل ذلك وغيره يجعلني أؤكد وثوقي : بان مستقبل الكتاب المغربي بين اهله العرب وذويه في صعود مطرد وانطلاق ميمون، ورغم هذا وذاك فإن الاثار الفكرية مهما طال نفسها وامتدت تجارب أصحابها قلما تسلم من بعض المزالق، وتلك المزالق تعظم وتخف تبعا لنوع الانتاج

وصور قضاياه، مهما ارتفعت تلكم الاثار الفكرية، ومهما بلغت من اكتمال نسبي ونضج قد يكون أخاذا في بعض الاحيان لن يمكن لها أن تدخل عامة بيوت المثقفين، ولا ان تغزو كل الادمغة الرائدة، ما لم تتناولها الاقلام تناولا شريف المقصد نبيل الغاية ؛ او تلوكها السن فتهتك سترها الشريف، وتلصق بها ما لم يكن من لبسها او روحها، والاثار التي تنوولت بالعرض والتبسيط والنقد الصريح، او نبشت قضما وانتقادا هي غانمة في كلا الموقفين رابحة في الصفقتين، ولعلي قد اجملت في نقطة يحسن فيها التفصيل لكن مالنا ولهذا ونحن" بين عصرين !" * ومع الاستاذ مازيغ ؟

وربما تتساءل لم بدأت بالاستاذ مازيغ او لم جعلت بين عصرين في المقدمة دون سواه ؟ ... الواقع ان عدة دوافع جعلتني أقدم "بين عصرين" على غيره... منها :

1) عمق الصلة بيني وبين الكتاب، ومدى امتداد حبل التعارف بيننا ، فقد كان ذلك يرجع الى سنين عديدة منذ كانت فصوله تذاع بعنوان "رسالة أبي حيان". فكنت استمع لها وفي نفسي شعوران متناقضان... ومن أجل ذلك التناقض اندفعت وراءها اتتبعها كاملة، وادون بعض المذكرات عنها أحيانا.

2) اعتقادي بأن الاستاذ مازيغ في جل ما كتب وخط نثرا كان اوشعرا يعد في طليعة رواد النهضة الادبية المغربية المعاصرة طعم ولا يزال يطعم الحركة الفكرية بروحه وفكره.

3) أما ثالث الاسباب ولعله شخصي فهو الوفاء بعهد كنت قطعته على نفسي منذ سنوات بأن اكتب شيئا عن هذا الرجل وتشاء الاقدار أن احتل اليوم من عهد بعيد فاخط بعض ما يعتمل في نفسي ازاء الاستاذ مازيغ كأديب وشاعر، وازاء انتاجه الاول "بين عصرين".

...والاستاذ مازيغ قدمه المشرفون على الشركة القومية للطباعة والنشر ضمن كتابه في كلمات مقتضبة هي :

الصادق مازيغ ولد بعاصمة تونس في 16 جويلية 1906. تخرج من المدرسة الصادقية عام 1924 : باشر التعليم في كثير من المعاهد التونسية ؛ ساهم بقلمه في النهضة الادبية والفكرية التونسية ؛ له انتاج متنوع من شعر ونثر ومترجمات ؛ من مؤلفاته المخطوطة والمعدة

* صدر هذا الكتاب بتونس سنة 1961 عن الشركة القومية للنشر والتوزيع.

للطبع "ديوان شعر" وتاريخ القيروان السياسي والاجتماعي نال جائزة القيروان الادبية عن مجموع انتاجه الادبي، وجائزة سوق عكاظ الشعرية لعام 1958 من الدرجة الاولى.

وكلمات مقتضبة كهذه غير كافية لان تلقي الاضواء الكاشفة للاجيال والتاريخ على رجل كرس حياته لخدمة الادب المغربي ؛ وكم كنت اود أن يجيء التعريف أوفى والطابع اوضح ؛ وعسى أن يكون ذلك في بعض انتاجه المقبل.

"وبين عصرين" جاء مقسما لحضرات القراء الى قسمين، لانه صيد أسمن من أن يلتهم في مأدبة واحدة ؛ وخصص الاول منهما لعرض الاشخاص الذين ركز عليهم المؤلف كتابه او بالاحرى فصوله

تلك الفصول التي سأتناولها في عناوينها واهدافها، وفي أفكارها ولغتها واسلوبها... واذن فإن بين عصرين ولو أنه يبدو صغير الحجم فإن المائة والخمسين صفحة حملت للقراء أشياء من الوفاء عرضها مجردة من كل تصنع أو رياء.

واشخاص "بين عصرين" هم :

ابو العرب : شاعر قوى الكيان ميال الى التجديد في غير افراط وهو يناقض تماما شخصية أبي عثمان... تلك الشخصية الدينية الصرف التي تمكنت من فهم الدين في جوهره، وهي اذ تدخل في نقاش تعتمد القواعد العلمية الصادقة... وثالث الجماعة أبو يحيي فيلسوف الحلقة يمتاز بالصمت والتفكير العميقين شأن كل فيلسوف رشيد... ثم نجد بعد ذلك ابو عباس وأبو مسلم، وأبو علي المتشبع بروح التنجيم والتدين العقيم، والملفوف لفا في مسالك العادات، ومناهج الخرافات الزائفة... أما ابو الصقر فشاب تقدمي مجدد في غير ثورة ولا افراط ؛ وثمة أبو سعيد وأبو النخبة الملقب بالعلامة الرهاوى، تلك الشخصية المحاطة من طرف الجماعة بهالة جاوزت حدود التقدير والاحترام الى ضرب من التقديس المصطنع الخداع... اما الشيخ أحمد فهو صاحب النادى وربه على نخبه تعقد الجلسات، وفي بيته ينتظم الشمل ويلتئم العقد على حد تعبير الاستاذ.

تلك هي الشخصيات العشر التي خلقها صاحب الكتاب ، وكساها

ألوانا مختلفة من حيث جوهر الشعور، وحقيقة المواقف المختلفة تماما ازاء القضايا المعروضة خلال كل جلسة... وأول ما يلاحظ هنا بارتياح سيطرة الكاتب على ابطاله من حيث الطباع فقط ؛ ولقد ضمتني الجلسات الست عشرة واحدة تلو أخرى، وفي كل جلسة أحاول أن اخصر من عدد القضاة او على الاصح من عدد الابطال، ولكنني كنت أقف في النهاية دون تنفيذ ذلك ليقيني أن كل شخصية تمثل ضربا من ضروب الحياة، ونمطا خاصا من الناس يحيا في مجتمع تونسي كلكلت عليه ظروف القهر السياسي فبات يئن ويفرغ أنينه في أمثال هذه الجلسات الحبيبة الى قلبه لانها جلسات الشعب في صميم قضاياه.

اما الشاب الوجودي الذي اسقطت عده قصدا لانه كان ضعيف الشخصية لم يأخذ مكانه القار من الحلقات ولم يشارك في نقاشها وأحاديثها مشاركة بارزة اذ كان يضطلع بدور ضعيف جدا في لحمة الكتاب ومبناه ؛ ولكنني قبل أن ادخل وإياكم الى حصن الرفاق ومجلسهم الانيس لنشهد ثمة الحوار الذي يشد الصحاب الى بعضهم، ويسلك بهم طرقا منسجمة حينا وملتوية كأداء احيانا... قبل ذلك أود ان نتعرف على عدد هذه الفصول وعناوينها حتى اذا ما اجتزناها وناقشنا حصيلتها كنا على بينة من الامر.

لقد ضم الكتاب ستة عشر فصلا انجزت ما بين جانفي واغسطس من سنة 1951 واستغرق خلقها ثمانية أشهر كانت تمر حبالى بـ : تاريخ ؛ ولحية ابي علي وتكهنات ؛ ثم . اقتربت الساعة ، فملتقى الوجود والعدم ، فمأدبه فالعلامة الرهاوى، فطعنة في القفا ؛ فبين الكتب، واخيرا خاتمة المطاف وبين الشك واليقين، وحديث الصيف ؛ والشاطيء، ونظرة الفيلسوف وحيرة أبي العرب...

... والنظرة العابرة على عناوين هذه الفصول تميل بالباحث الى ترجيح فكرة الرمزية فيها لما يستشف خلفها من صور واشباح تتراقص حول هذه العناوين، ولو أنها جاءت صريحة العبارة واضحة الملامح اذ ليست الرمزية رصف كلمات مشلولة مبهمة. وليست الرمزية كذلك عالما خياليا مطلسما على القاريء أن يفك عقاله ويضبط مفاهيمه بل الرمزية التي أعنيها هنا هي التي قصدها صاحب كليله ودمنة... فاوجه الشبه كبيرة بين العصرين من حيث الضغط السياسي

والظلم، ظلم جاوز حدود الصبر، وتحدى نطاق التأني، فزرع في النفوس أجمل الثمار واطيبها، زرع الثورة في الاحساس، والثورة في القلم، والثورة في الاتجاه. ولكن ثورة القلم لا بد أن تلبس اللباس الرمزي الخاص لتبعث الشعوب الى الحياة الكريمة، وتدفعها الى الصعود وهي في أمن من ظلم الطغاة ؛ فاختار ابن المقفع ابطاله من الحيوان، واختار مازيغ أشخاصه من الشعب وجمع بينهم في جلسات ظاهرها فكري محض الى معالجة قضايا الرأى الادبي، وباطنها تلميح لمشاكل الشعب التي باتت تتكدّس وتنذر بخطر عظيم ؛ والذي يؤكد ميلي الى هذا الرأى علمنا جميعا بأن المنبر الذى كانت تنشر منه هذه الفصول هو "الإذاعة" ولن نجهل ظروف الاذاعة منذ بعثها بتونس وخاصة خلال سنوات 51 و 52 الى سنة 1956 حين كان الشعب التونسي يخوض حربه ضدّ الاستعمار واذ ابتعد برأيي هذا التقدير الجازم، وأميل به الى الترجيح فحسب فذاك لاني اود ان أجعل مجال الحكم في خصوص هذه النقطة اوسع من القطع النهائي الذى قد يوقع في الخطإ وسواء لدينا أقصد الكاتب الرمزية في فصوله فخلق هؤلاء الاشخاص، وحاول أن يظهر على السنتهم فظائع الظلم وسخافة العادات، تلك التي سيطرت على الشعب، وغلت منه الرقاب، وحطمت فيه العزيمة فحاول اظهارها على لسان أبي الصقر، وابي العرب، وابي عثمان فكان وابن المقفع صنوين في عصرين مختلفين ؟ أم قصد خلاف ذلك وسلك هذا النمط من الانتاج سلوكا عفويا محاولا به تجديد أدب المجالس في عصور الفكر الحديثة، واعادة تلكم المراتع الخضر التي كانت تتلألأ من مجالس ولادة وابن زيدون والتي كدنا أن ننساها...

...سواء لدينا قصد الكاتب هذا او ذاك فإن الفصول في عمومها غلب عليها الارتجال والاخراج السريع دون مراجعة نظر او تأكيد انتباه الامر الذي يجعل الدارس في ريب منها... اهو أمام بضاعة نظيفة هيئت لان تكون غذاء روحيا خالدا لا تؤثر فيها الايام، ولاتنال منها الاحداث ؟ أم هو امام شيء آخر ينتهي بانتهاء عمله، فلا هو الى الخلود سائر، ولا الناس به منتفعون ؟ اهو حيال ضرب من ضروب الفن النثري الرفيع الذي معياره الكيف في سبكه ووضوح افكاره، وبيان الهدف الرئيسي لكل فصل يصافح الناس؟

أم هو يواجه أثاثا عتيقا معروضا للبيع في اطار يأسر الانظار ولكنه خلو او يكاد من معاني الرفعة الفنية الممتازة ... لا أنكر أن الاستاذ مازيغ يتمتع برصيد ضخم من اللفظة الشفافة والعبارة العميقة، والمقطع البليغ المشحون بالنغم الموسيقي الاخاذ، ولا انكر كذلك أن السنين الطويلة التي قضاها دارسا ومدرسا ينظر في امهات المصادر بوعي وتفكير عميقين... لا انكر هذا فأنا مقتنع سلفا بأن قلم الكاتب اقوى من أن يمرع في حضيرة جل حصيلتها لفظ فارع واجترار مُمِل؛ ولكن تأتي الرياح...

...انه لا يكفي في خلود الاثار الفنية والارتفاع بها عبارة منمقة اوسجع موقع ،فالتعابير ليست هي كل الفن في الكتابة ولو انها جزء من اجزاء الجمال، لكن المنتج اللبق لا يحسن به أن يجعل همه ركضا متواصلا وراء الالفاظ الضخمة، والكلمات الداوية...

...الكاتب الفنان او بالاحرى المتفنن هو الذي يطبع آثاره ويصبغها بألوان متنوعة اصدق عناصرها : هدف مضبوط، وعبارة سهلة، وفكرة منسجمة، وعاطفة حساسة صافية .

...وبعد فلندخل مع الاستاذ في فصوله فلقد عاهدتكم ألا أسوق رأيا دون وضع الدليل الى جانبه.

في فصلي لحية ابي علي ص 21 و "اقتربت الساعة ص 44 تشابه في الحوار كبير مع أن الفكرة تكاد تكون واحدة وليس هذا من عيوب الاسلوب فقد يضطر الكاتب ان كان يرسم على الواح متباينة من الحوار قد يضطر الى اعادة الفكرة نفسها، ولكن الذي يلفت النظر حقا التعليق الذي ذيل به كل من الحوارين...

اقرأ معي في صحيفة 21.

" كانت الاحاديث حائمة اذن حول أحسن طريقة لتسميد الجلبان،
" واقرب أسلوب لتوفير البصل والباذنجان، وانجع وسيلة لكبح
" دود الخس، والايقاع بفراش البرتقال الى غير ذلك من المعامع البريئة
" الحريه بجلب كل خير فيما يذهب اليه معظم الرفاق."

ثم اقرأ من ص 44 بعنوان "اقتربت الساعة"

" واغتنم الجماعة انتهاء المعركة، وهدوء الملحمة، فطفق افراد

" منهم يتحدثون عن أسعار الزيت والتمور وشؤون المطر والصحو،
" وخاض الآخرون في غـراسة الاشجار، وتناول فريق مشكل
" تفاقم الغلاء، وتضخم الاسعـار، وتصاعد أصوات الخلق بالتذمر
" والاحتجـاج، كـل ذلك وأبو العبـاس ينظر الى رفـاقه بعين
" ملؤهـا الشفقة والازدراء ويرمقهم بطرف كله امتهان واستخفاف
" لبلادة عقولهم وسفه احلامهم، وسخف حوارهم كانما لسان
" حالـه يقـول : استبدلـوا الذي هـو ادنى بالـذي هو خيـر – يالهم
" في نظره من قـوم صغـار العقول سفهاء الاحلام ،قد ضربت عليهم
" الذلـة والمسكنـة حقـا وباؤوا بغضب من الله بمنطوق آية كريمـة
" تنطبـق عليهم كل الانطبـاق من فرط هذه الغبـاوة والجهـل
" ولـكن ما العمل وقد عشقوا السفاسف والفـوا الحماقات، ورقدوا
" في مضجع الضلال والخسـران، الخ..."

أي فكرة صحيحة واضحة يستطيع أن يظفر بهـا القارىء من تلاوته لهذين المقطعين، ثم أي اضطراب في المواقف هذا الذي نشاهـد وماثار أبو العباس، ولا تأفف في حديث الجماعة الاول، وهـو يشبه تمامـا حديثهم الثـاني فلم هذه الهجومـات التي لا مبرر لهـا في لغـة غير نظيفة... اننـا لم نسمـع صوت أبي العباس ولـكن المـؤلف قـولـه مـا أراد، ومن الغـريب حقـا أن يثـور أبـو العباس ثورتـه تلك وهو الفيلسـوف الذي عودنـا الرصانـة والهدوء يثـور لمجـرد حديث طبيعي وعـادي يجـرى على كـل لسـان... ثم أليس افـراط هذه اللغـة النابيـه، والنعوت المستهجنة التي تصفع جمـاعـة تغلب عليهـم روح التقى، وينهـج بهم مستواهم العلمي نهـج الرشد والتعقـل والتفكير... اذن كيف يصح ان يصفهم أبـو العباس : بأنهـم صغـار العقـول ،سفهـاء الاحـلام، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنـة حقـا وبـاؤوا بغضب من الله حتى : أبو عثمـان يـا استـاذ !

... أليس هذا من مصائب الجري وراء العبـارة المنمقـه ، واللفظـة الضخمـة تلك التي اخرجت صاحبهـا عن موضوعيه البحث في جل الكتاب، ولو انك سيدي القارىء الكـريم سمحت لنفسك – وهو مـا ادعـوك اليه ملحـا – فعدتَ الى فصول الكتـاب دارسـا منقبـا كـل فصل، محاولا بذلك الوصول الى مـوضـوع بعينـه، او فكرة واضحـة يهـدف اليهـا الكاتب في ادارة الحوار لخرجت من محاولاتك تلك خروج المتبنيء من مصر،يهرف بالولاية ويحلم بالمجد الموهوم... وفي النفس حاجات،وفيك فضائل ...

...وهـا نحن أمـام فصـل "اقتربت السـاعـة" وها نحن نطوي صفحات ست دون أن نعثـر على مـا يشير الى اقتـراب هذه الساعـة. او يشير على الاقـل الى مـلامـح هـذا الاقتـراب، اللهم الا الـواح متناثـرة في حوار مفـكك حول الزندقـة والمتزنـدقين، واجتـرار كلام من فصيلة هذا النوع :

" قال أبو الصقر : على حد قـول شاعـر من اصدقـائنـا نـابغة في بابه "وحيد في أضـــرابـه"

" غرنق الغرنوق في ليل الدجى مُشْعرا بـأن فـي الـكـون خـور"

وعند فصل خاتمة المطاف صـ 93 يتجلى تشويش الافكار واضطرابها واضحا ؛ فقد بدىء الفصـل بشـرح بعض ابيات شعريـة لابن أبي أصيبع صاحب أبي العرب ؛ ثم عـاد بنـا الـكاتب في وسط الفصـل الى الحديث من جديـد عن اقتـراب الساعـة وقد فصـل ذلك بأدلـة من الاثـر النبـوي الشريف الشيء الذى كنـا ننتظـره في فصـل "اقتربت الساعـة" صـ 43 لا في "خاتمـة المطـــاف" صـ 93 ... وفي نهـايـة خاتمـة المطـاف هذا يدمجنـــا الاستاذ ضمـن السياسـة ويلمـح الى شـيء مـا كنـا نـود الاشـارة اليـه او ذكـره، لانـه مشكوك في وقوعه اصلا ؛ والـكاتب العريـق إنمـا يكتب للتـاريـخ والاجيـال فمن اوكـد سمـاتـه إذن التحري التـام في عرض بعض القضايـا.

قـال الـكاتب :

" واغتنم أبو العباس الفرصة لشن غـارة على اعداء الطلبـة من رجـال " الـسيـــاسـة المحرشين المتلونين كما وصفهم" صـ 100.

أشك مطلق الشك في أن كـان بين رجـــال السياسـة والطلبـة عداوة مـا في تـاريـخ تونس المعاصر. اذ لئن كـان هـؤلاء السياسيـون الذيـن أشرت إليهم من رجـالتهـا حقـا فهـذا لم يقـع تمـامـا، وإن كـانـــوا من زعـانفها المتطفليـن عليهـا "المتحرشين المتلونين" الذيـن بـاعوا ضمائـرهم للشيطان وبـاتوا يصطـادون في الماء العكـر فمـا كـان يجدر أنْ تصفهم برجـالهـا ومـا اعـارهم تـــاريخ الثـورة التونسيـة اهتمـامـــا فقد سحقـوا تحت نعال القـافلة السائـرة الى الامـام دومـا واستمـرارا.

...بقي أن أعـــرج على مـوضوع اكيـد أعتقـد انـه ادخـل على التأليف ضعفـــا كبيـرا من الناحيـة الصناعيـة الفنيـة وهو لغـة الحـوار التي كانت تسوق أبطال "بين عصرين" دون استثناء، يضاف اليها السجع المرتل.

أمـا لغـة الحـوار وهي عندي العمـود الفقـري في لحمـة هذا التأليف وكيـانـه فقد ظلت متشـابهـة جد التشـابه، رغـم اختلاف الاشخـاص، ورغم اختلاف شعورهم في الحياة، ونظـرتهم للحيـاة، ومذهبهم في الحيـاة... رغم كـل هـذا التبـاين فإنك لتشعـر عميق الشعور بوجودك امـام محـدث واحـد في اللهجـة واللفظـة والاسلـوب ؛ الامـر الذي يدعـوني احيـانـا الى اعـادة النظـر في حواريـن او اكثـر بعـدت بينهما الفصول وطـويت خلالهمـا الصفحـات، ومـع ذلك فالقـدم واحـدة والنعلُ هو، هـو.. وعنـدي أن سـر نجـاح أي اثـر من الاثـار المركـزة على الحـوار في طريقـة التعبير، وسيـاق الأسلـوب كاختـلاف المتحاوريـن شعورا وطباعا ... لـكن اقرأ في صفحة واحدة وفصل واحد "ملتقى الوجود والعـدم" :

قال ابو عثمان :

" اللهم عفوك وغفرانك، ان السيـل بلـغ الزبى، وان الـكفر جـاوز " المـدى، فمن أيـن لك هذا الادعـاء."

وقـال أبـو مسلم :

" ليس ذلك بأول كـذب يختلقه طائفـة النظـامين، بـل ليس هو " أول ادعـاء لأولائك المجـانيـن " ص 54.

وحتى الشـاب الوجـودي الثـائـر على كـل عتيق لم يفلت من قيد الاوابـد السجعيـة...

...قـال الشـاب الوجودي في نفس الفصـل معلقـا على أبي عثمـان وأبي مسلم قـال :

" ان من خاصة الشعر وميـزتـه التي تفـرد بهـا، أن يـكون الفقـر " المدقـع ؛ والقفر البلـقع ؛ والمهملـة الخـلا ؛ واليبـاب والفنا " ص 56

وهـكذا نجـد نفس النغم في جـل الفصـول - ان لم نقـل كلهـا - حيث يسير فيهـا الحـوار ضمن لغـة رتيبـة واحـدة ممـا يبعث على الملل والفتـور، اذ يصبـح القـاوىء وكأنـه أمـام عـرض واحـد مكـرر لا تبديل لصوره وسحنـاتـه، ولا تغير لجوهـره وملامحـه، وهذه احدى مصائب الانتـاج الحـواري اذ اغلبـه يأتي غير موفق في لغـة الحوار فنيـا.

...اما موضوع السجع الذي لازم "بين عصرين" من مطلعه حتى منتهاه فالادلة عليه اكثر من أن تذكر في عرض وجيز كهذا... اقرأ في ص 70 .

" حتى خيل للجماعة انهم يسبحون اثر شيخنا الجليل، في مجرى
" ليس يدرك له من ساحل، او يضبط من غور، او أنهم يخترقون
" غابا متعدد المسالك ؛ ملتوي الشعاب ؛ متباعد الامطار والاغوارْ ؛
" متباين القطوف والثمارْ ؛ متكاثف الظلال والاشجارْ.

وفي ص 96

" انه ما أفضى مطلقا الى اقتلاع الاثم والعدوانْ ؛ واكتساح الظلم
" والطغيانْ ؛ وابادة التناحر والشنآنْ ؛ واي ثمر جنينا من تضخم
" البنيانْ ؛ وتكاثر بني الانسانْ ؛ اللهم الآ الويل والخسْرانْ ؛ أم
" كيف تصلح انسانية توحدت في قبضة الشيطانْ ؛ وتباهت بالفسوق
" والعصيانْ "

وفي ص 112

" جامع اشتات الاقطارْ ؛ ومزالق التاريخ في مسيره على تعاقب
" الاعصارْ ؛ وتباعد الامصارْ ؛ " قيثاره اصداء ؛ ومجتمع اجناس
" واهواء ؛ حليف كل ذي خسارة وباس ؛ ورفيق العزم
" وصلابة المراس ؛ وطريق أولي الهمم البعيدة من الغزاة
" والمكتشفينْ ؛ واداة الخلق والتجدد بأمر رب العالمينْ ."

ألا تذكر هذه الشطحة القادرية واضرابها بأسلوب كاتب ابن بطوطه الذي اتخذه ليملي عليه رحلته الميمونه في عصر طغى فيه هذا الضرب من الاسلوب في الكتابة... قال في الصحيفة الرابعة من الرحلة المشار اليها :

" وتفردت الاشارة الكريمة – يقصد اشارة الخليفة أمير المؤمنين
" أبي عنان فارس – أن يملي ابن بطوطه ماشاهده في رحلته
" من الامصار ؛ وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ؛ ويذكر
" من لقيه من ملوك الاقطار ؛ وعلمائها الاخيار ؛ واوليائها
" الابرار ؛ فاملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر ؛ وبهجة
" المسامع والنواظر..."

...وبعد فإن "بين عصرين" تجلت فيه بوضوح مقدرة الاستاذ مازيغ في عرض الحوادث على الصعيد الحواري ولكنه باهت في عرضه ارتجالي في اسلوبه وان ما قلتُه فيه من : أنه الرائد الاول الذي يرفع مشعل نهضتنا الادبية الحديثة لأؤكده رغم كل ذلك مطلق التأكيد بعد هذه الجلسات المقتضبة لايماني بكفاءته في خلق أدب مثالي خالد مع الاجيال والتاريخ، ولكن السلام عمل وصبر وايمان، واني لاحييك يا سيدي في النهاية تحية مارون عبود للشيخ فؤاد حبيش وأعيدُ فيك قوله :

" السلام عليك وعلى عصابتك وعلى ما حبلتم وستحبلون بلادنس،
" ما هذا "العرض" تكريما ان هو الا وقفة في اول العقبة، فطريق
" الادب طويل اطول من دهر المعري فإلى الامام، دائما إلى الامام. "

فرج المحجوب

بريد القراء

« وحـــــي اللـيـــــل »

شعر : سعد الغزال

أيَـا ليْـــلُ ! حِينَ تُغَطي الوِهَـادْ
وَيَشْتَـدُّ فِيكَ الخَفَـا والسَّـوَادْ
وَيَـذْهَبُ عَـنْ مُقْلَتَـيَّ السُّهَـــادْ
تُعَـــاوِدُنِي ذِكرَيَـاتُ "سُعَـادْ"

* * *

قَضَيْنَـا لَيَالِي الهَـوَى فِي حِمَـاكْ
نُنَــاجِي نُجُـوماً بَدَتْ فِي سَمَـاكْ
وَنَنْعَمُ بِالوَصْـلِ . مَاذَا دَهَـاكْ ؟
فَـأسْـدَلتَ ثَوْبَ النَّوَى مِنْ أسَـاكْ

* * *

وَصَيَّـرْتَ قَلبِـي شَقِيقَ الجَمَـــادْ
وألقَيْتَ حَـوْلِيَ ثَـوْبَ الحِـــدَادْ
وَأحْـدَثْتَ خَلفِي رِيَــاحَ الرَّمَـــادْ
وَطَـوَّحْتَ بِي فِي فَيَـافِي الجَـرَادْ

* * *

هُنَـا فِي شِعَـابِ الأسَـى والألَـــمْ

أُلاقِي الشَّقَا وَضُرُوبَ النَّدَمْ
وَأَمْشِي أَتِيهُ بِدَرْبِ العَدَمْ
بِقَاسِي تَقَالِيدِنَا أَصْطَدِمْ

* * *

فَيَا لَيْلُ ! زِدْ فِي السَّوَادِ السَّوَادْ
وَغَطِّ السُّهُولَ وَعَالِي النِّجَادْ
وَذَكِّرْ بِمَاضٍ طَوَاهُ البِعَادْ
لأَحْيَا – وَلَوْ بُرْهَةً – كَالعِبَادْ

* * *

لَعَلَّ الظَّلامَ إِلَيَّ يُعِيدْ
مِنْ الذِّكْرَيَاتِ الزَّمَانَ السَّعِيدْ
فَيَنْبِضُ فِي القَلْبِ عِرْقٌ جَدِيدْ
وَيَأْتِي الهَوَى مِنْ حَبِيبٍ بَعِيدْ

* * *

فَأَظْفَرُ – عَبْرَ خَيَالِي – بِزَادْ
لِعَاطِفَتِي، وَيَلِينُ الفُؤَادْ
وَذِكْرَى اللَّيَالِي الخَوَالِي تُعَادْ
وَيَخْرِقُ ذَا الصَّمْتَ هَمْسُ "سعادْ"

صفاقس – **سعد الغزال**

اسلمي بنـــزرت

شعر : محمد لنده

اسلمـــي بنـــزرت يـا ارض الجـــدُود
وانشـــري في الافـق أعـــلام السعـــود
وافرحي بالنصـــر من بعـد القيـــــود
وارفـلي كـالبـدر في أسنـى البـــرود
واكتبي الامجــاد في سفـــر الخلـــود

اشهـــدي عيـــدك من بعد اللهيـــب واسمعي قـــائـدك الفذ الحبيـــب
انـه قد ارجـع الحـق السليـــــب بالحجـى ،والـرشـد، والرأى المصيب
وأقـــام الصـرح في أوج الصعـــــود

يـا بني تـونس حيـوا الشهـــداءْ انهـم قد دحـــرُوا كيـد العـدآء
فاذكـــروهم يـوم هبـوا للفـــدآءْ ومضـــوا كي يطـردوا طيف الردى
جمعــوا الشمـــل، وسـاروا في صمـود

نحن فزْنـا، وتحـدّينـا البـــلاءْ وانطلقنـا كلنـا نحـو العــــلاءْ
نحن ثـرنـا، وهزمنــا الـدخـــلاءْ فلنُقِـمْ في فـرحـة عيـــد الجلاءْ
ولنـرَدّد خيـر لحـــنٍ للوجـــــودْ

يـا رفـاقـِي ردّدوا اللحـن الوفيّـــا واملاوا الـدنيا غناء عبقـــريّـــا
قد أطـل الصبـح وضـاح المحيّـــا وتهـــادى يوقظ الزهـر النـــديّـا
ينثـــر الـدرّ عـــلى ثغـــر الـــورودْ

يـا بني القطـــر انشدوا عزّ الحيـاة واسمعـوا القـائد يذكى العـزمـاتْ
وابعثـوا الـوحـدة، وامضوا في ثبـاتْ وارسمـوا العـزة بيـن الصفحـــاتْ
وارفعـــوا رايتنــــا بيـن البنــــودْ
اسْلمـي بنـــزرت يـا ارض الجدودْ

....

صفـاقس 15 اكتوبـر 1963 — **محمد لنده**

أضواء الفكر

• وفد ثقافي يسافر الى بلغاريا

بارح يوم الخميس 24 اكتوبر وفد ثقافي برئاسة السيد عبد العزيز عشيش مدير اذاعة صفاقس متجها الى عاصمة بلغاريا في نطاق الاسبوع الثقافي التونسي.

ويتركب هذا الوفد من السيد الهادي التركي الرسام ومن اعضاء الفرقة القومية للفولكلور.

• معرض للرسوم التونسية في صوفيا

أقيم ابتداء من يوم 25 اكتوبر في نطاق الاسبوع الثقافي التونسي معرض للوحات الزيتية التونسية عددها 65 لوحة من رسم 15 رساما تونسيا.

• مسابقة أدبية في التعاضد

رأت لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان ان تساهم في تركيز فكرة التعاضد في أذهان المواطنين فنظمت مسابقتين :

الاولى : تبحث في التعاضد في الاسلام يتناول بالدرس :

– التعاون في القرآن والحديث وأهم المذاهب الفقهية.

– مختلف انظمة التعاضد في العصور الاسلامية وميزة كل نظام منها.

الشروط : لم ينشر البحث ولم يقدم لمسابقة سابقة.

لا يقل البحث عن مائة وخمسين صفحة.

قيمة الجائزة : خمسمائة دينار – من الوالي رئيس لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان –

الثانية : تبحث في التعاضد في المجتمع التونسي من خلال عاداته وتقاليده وابراز الميزة التدينية فيها.

الشروط : 1/ لم ينشر البحث ولم يذع ولم يقدم لمسابقة سابقة.

2/ لا يقل البحث عن مائة وخمسين صفحة.

قيمة الجائزة : خمسمائة دينار من لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان.

الشروط العامة :

1) توجه نسخ البحث في ثلاث نظائر مكتوبة على وجه واحد وعلى الآلة الراقنة باسم « الوالي رئيس لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان » مقر لجنة التنسيق الحزبي.

2) تبتدىء المسابقة من 1 نوفمبر 1963 الى 31 مارس 1964.

3) يقع الاعلان عن النتائج في موعد يحدد فيما بعد.

4) تقدم الجوائز اثناء ملتقى تنظمه لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان في نطاق اللجنة الاقتصادية ويشرف عليه السيد « أحمد بن صالح » كاتب الدولة للتصميم والمالية.

5) يعلن على أسماء لجنة التحكيم عند الاعلان عن النتائج.

◆ توحيد الارقام بالبلاد العربية

بدعوة من الامانة العامة لجامعة الدول العربية (الادارة الثقافية) انعقدت في مدينة تونس في المدة بين 11 – 14 نوفمبر 1963 حلقة لدراسة امكانية توحيد الارقام المستعملة في البلاد العربية والنظر في قوالب لها تنسجم مع الخط العربي كتابة وطباعة. عقدت الحلقة 5 جلسات بحضور :

السيد الدكتور علي ابراهيم عبده : عن الجامعة العربية ؛ وليد السعد : المملكة الاردنية الهاشمية ؛ عثمان الكعاك ؛ محمد صالح الخماسي : الجمهورية التونسية ؛ حسن الانباري : الجمهورية العراقية ؛ صالح العنبري : المملكة العربية السعودية ؛ عبد الوحيد المقداد : الجمهورية العربية السورية ؛ عبد الله بشارة : دولة الكويت ؛ عصام سليمان : الجهورية اللبنانية ؛ محمد البوصيري : المملكة الليبية.

وقد ترأس هذه الحلقة الاستاذ عثمان الكعاك رئيس وفد تونس

وقد درست الحلقة البحوث المقدمة من الادارة الثقافية وهي :

1 – بحث عن تاريخ الارقام العربية وتطورها، مقدم من الاستاذ عثمان الكعاك حافظ دار الكتب بتونس.

2 – بحث عن الارقام العربية للاستاذ عبد الهادي التازي قدم الى مؤتمر التعريب المنعقد بالمغرب في افريل 1961.

3 – بحث عن الارقام العربية الاصلية في اختام البريد، اعده احد خريجي معهد البريد العالي بالقاهرة.

4 – بحث عن اصل الارقام العربية وتطورها للاستاذ رضا عبد الكريم ايراني.

5 – بحث عن اشارات التعداد بقلم جيمس فيفراي ترجمه الاستاذ خير الدين حقي الخبير بمعهد التعريب بالربـاط.

وبعد المداولات والمناقشات حول الموضوع وقع الاتفاق على التوصيات التالية :

التوصـية الاولى :

حيث اتضح من معظم البيانات التاريخية ومن الوثائق المشاهدة، ومن مراجعة المصادر، ان

الارجح هو وجود ارقام عربية اصيلة (غبارية) الى جانب ارقام هندية مقتبسة ولو انها صار لها حق الايواء بمرور الزمن الطويل.

وحيث قد اشتهر عند مؤرخي الرياضيات من الاوربيين ، وفي مصنفاتهم العلمية التي وضعوها اشتهارا عالميا وعندكافة الامم ، ان هذه الارقام عربية ، وهكذا تنعت في جميع لغات العالم.

وحيث ان جانبا لا يستهان به من علماء العرب امثال ابن الزرقال وابن البناء وابن الرقام وابن ياسمين وعلي القلصادي انما استعملوا الارقام الغبارية المعروفة بالعربية.

وحيث ان الاوربيين الذين اخذوا العلم عن العرب من طريق صقلية العربية او المغرب العربي او الاندلس قد ترجموا الى اللاتينية معظم الكتب الرياضية بهذه الصور الغبارية الى جانب كونهم ترجموا كتبا من وضع علماء المشرق ولكن وضعوها بارقام غبارية لا هندية.

وحيث ان اوراق البردى المصرية القديمة الراجعة الى القرن الثالث الهجري طالما استعملت لارقام الغبارية حسبما هو مشاهد في الوثائق ولا سيما بما اوردته دائرة المعارف الايطالية تحت مادة (رقم).

وحيث ان العالم العربي يشق طريقه بخطى شاسعة نحو التوحيد الثقافي وازالة الفروق الثقافية

وحيث ان الطلاب في المشرق العربي يعرفون الارقام الغبارية حتما حينما يبدؤون في تعلم اللغات الاجنبية في مدارسهم.

وحيث انهم يحتاجون اليها بالتأكيد في المرحلة العالية من دراستهم، لاسيما اذا التحقوا بجامعات غير عربية.

وحيث انهم يحتاجون اليها فيما بعد للاطلاع على المصادر الاساسية.

وحيث ان الاجهزة الفنية في مجالات الاذاعة والطب والصناعة والتوقيت وغيرها مرقومة بالارقام الغبارية والناس يستعملونها اكثر فأكثر.

وحيث ان السياح الاجانب يزورون البلاد العربية بكثرة متزايدة، كما ان كثيرا من العرب ايزورون البلاد الاجنبية، فلا بد لاولائك الاجانب ولاولائك العرب من ان يكونوا على معرفة مشتركة بهذه الارقام الغبارية لاستعمالها في كثير من المرافق.

وحيث ان العلاقات الاقتصادية الدولية في ارتباط متزايد مما يجعل استعمالها للارقام الغبارية ضرورة واضحة. فان الحلقة :

توصي الدول العربية بتعميم الارقام الغبارية وتحقيق ذلك بالطرق والوسائل وعلى المراحل التي تراها مناسبة.

التوصية الثانية :

حيث ان الارقام الهندية اصبحت جزءا اصيلا من تراثنا العربي الذي يستحق ان يحافظ عليه.

وحيث ان كثيرا من الوثائق والمطبوعات العربية خلال الف سنة الاخيرة قد استعملت هذه الارقام

ونظرا لانتشار استعمال هذه الارقام في المشرق العربي

توصي اللجنة كافة الدول العربية عند تطبيق التوصية الاولى بالعمل بالطرق التي تراها مناسبة

على عدم اندثار قوالب الارقام الهندية، وعلى ضمان معرفتها في كل بلد عربي.

التوصية الثالثة :

حيث انه من الخير ان يتجه العلماء والبحاثون العرب الى بيان حقائق معجزة الرياضيات عند العرب.

وحيث ان كثيرا من علماء العرب المعاصرين وكثيرا من علماء الافرنج خلال العصور قد وضعوا تآليف او مقالات او رسائل في تاريخ العلوم عند العرب عامة او في ناحية من نواحيها او في عصر من عصورها.

وحيث ان الاهتداء الى هذه المصادر عسير ومضيعة للوقت لاسيما مقالات المجلات العلمية التي كتبت في عصور مختلفة وفي اقطار كثيرة وبلغات متعددة، فالبحث عنها يكاد يكون مستحيلا .

فان الحلقة توصي دور الكتب الوطنية في البلاد العربية بايجاد ببليوجرافيا لتاريخ العلوم الرياضية عند العرب سواء ما الف منها بالعربية او باي لغة اخرى، سواء ما صدر منها في شكل كتاب او رسالة او مجلة. على اساس ان تجمع كل هذه الوثائق بالامانة العامة لجامعة الدول العربية وهي تتولى التصفية والتنسيق والنظر في النشر.

التوصية الرابعة :

حيث تبين من خلال البحوث والبيانات والمناقشات التي جرت اثناء الحلقة، ان العرب يحتاجون الى معرفة اوسع بتاريخهم العلمي، وتراجم علمائهم، وبيان ما ترجموه او هذبوه او شرحوه من كتب الاقدمين، ثم ما زادوه واخترعوه واكملوه من علوم ومكتشفات حققت تقدم العلوم وتكاثر المكتشفات والمخترعات على ايديهم.

فان الحلقة توصي بترجمة الكتابين التاليين :

1 – الرياضيون الفلكيون العرب وتآليفهم :

تاليف الالماني زوتر

H. Suter, Die Mathmatiker und Astronomon der Araber u. ihre Werke (Abh· Zur Gesch. der match. Wissenschaften mit Einschlues ihrer Anvendungen, X, Suppl. Zum 45. Jahrg. der Zitschr. Für Match. u. Physik),Leipzig 1900. Machtrâge u. Berichtigungen dozu eb, XIV (1903) S. 147-185 M. Steinschneider, Arabische Mathematiker OLZ VII, 6 (Juni 1904) IX, I (Jan. 1906).

2 – تراجم الرياضيين العرب الذين ازدهروا بالاندلس

تأليف الاسباني سانشز بييرز

J. A. Sanchez Pérez, Biografias de matemàtice arabes que florecieron on Espagna, Madrid 1921.

التوصية الخامسة :

حيث ان الجامعات الاوربية لها كراس في تاريخ العلوم

وحيث ان بعض اصحاب هذه الكراسي له اتجاهات خاصة في تقرير تاريخ العلوم عند العرب.

وحيث انه من الضروري وبموجب التوعية الوطنية لامجاد العرب العلمية ان يعرف النشء العربي تاريخ هذه العلوم عند العرب وما وصلوا اليه.

فان الحلقة توصي بان يؤسس كرسي لمادة تاريخ العلوم عامة وتاريخ العلوم عند العرب خاصة في الجامعات العربية.

التوصية السادسة :

حيث ان المؤرخون الاوربيون يقولون ان ترقيم صحف الكتب من وضعهم، وان من سبقهم من الامم وخاصة العرب لايعرفون ترقيما للكتب يبين تتابع اوراقها وترتيبها.

وحيث انه توجد مخطوطات عربية قديمة الترقيم، وان ترقيمها يسبق - على ما يبدو - ما جعله الاوربيون تاريخا لبداية الترقيم عندهم.

وحيث ان تحقيق القضية يحتاج الى وضع فهرس شامل للمخطوطات العربية القديمة المرقمة

فان الحلقة توصي دور الكتب الوطنية في البلاد العربية بتبيين المخطوطات التي تحتوي على ترقيم قديم ليتسنى اثبات سبق العرب في هذا المجال، حتى اذا ما تحقق ذلك وقع الاعلام عنه في نشرة مؤيدة بالمستندات والوثائق تصدرها الامانة العامة لجامعة الدول العربية.

التوصية السابعة :

حيث ان الخط المستعمل بالمغرب العربي يخالف الخط المستعمل بالمشرق العربي مما يجعل عسيرا مطالعة المغربي في المغرب للخط المستعمل بالمشرق، والعكس بالعكس.

وحيث ان هناك اختلافا في نقط الاعجام ورسم الهمزة بين الخطين

وحيث انه من الخير توحيد الخط في البلاد العربية لتسهيل القراءة.

فان الحلقة توصي الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالدعوة الى عقد حلقة لدراسة هذا الموضوع.

• اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان

صدر أخيرا الجزء الاول من كتاب اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان لاحمد ابن أبي الضياف وقد حققت هذا الكتاب لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار

• ابن سينا أحد الاقطاب المقننين للموسيقى

توصل أحد النقاد الكبار للموسيقى في طشقند الى ان ابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب هو اول من نظر في علم الموسيقى وضبط قواعده قبل ميلاد أقطاب الموسيقى Fogliano و Zarline .
